الصلاة

للعلامة

أوريجانوس

تعريب

القس موسى وهبه

قداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة لجنة النشر

أوريجانوس الذى يعنى « ابن حورس » ولد من أبوين يعتقد انهما صارا مسيحيين وهو صغير .. وكان ذلك ما بين سنة ١٨٣ ، ١٨٦ م . ويعتقد انه ولد فى مدينة الاسكندرية وقد رباه أبوه ليونيدس (ابن الأسد) تربية مسيحية خالصة ..

كان أوريجانوس مثالا للغيرة المقدسة وهو شـــاب .. فحينما وقع الاضطهاد سنة ٢١٢ حث أبوه على الثبات فى الايمان .. وبعد الاضطهاد ترأس أوريجانوس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية مكان معلمه اكليمندس. وبالرغم من حداثة سنه حينذاك (سبعة عشر عاما) الا انه كان محلا لثقة الكثيرين من معلمى الكنيسة .. وكان يشتهر بحرارة الروح وميله للنسك الشـــديد .

— اضطرته الظروف بعد وفاة والده الى ان يبيع كتبه الثمينة بثمن بخس ليعول أمه واخوته ولم يقبل ان تعوله سيدة ثرية طلبت اليه ذلك لأنها كانت لها ميول غنوسية .

— كان متحمسا للتقوى وتطبيق وصايا الكتاب المقدس حتى انه خصى نفسه تطبيقا لنصيحة المخلص بمعناها الحرفى (مت ١٩ : ١٢) .

— درس مذاهب الفلاسفة اليونان — وآراء الهراطقة .. مقتفيـــا آثار بنتينوس وهيراقليس وأمونيوس السقاص — وكان يقسم طلبة المدرسة اللاهوتية الى قسمين المبتدئين بقيادة هيراقليس والمتقدمين بقيادته .

— زار مدينة روما .. واستمع الى دعوة القديس هيبوليتس .. وزار بلاد العرب بناء على دعوة من حاكمها .. وكان أوريجانوس أول علمانى يعظ ليس الموعوظين فقط بل المعمدين عندما زار بلاد فلسطين ابان اضطهاد الامتراطور كراكلا سنة ٢١٥ م .

— دبرت العناية الالهية رجلا غنيا يدعى امبروسيوس رده اوريجانوس من مذهب فالنتينس الى الكنيسة الأرثوذكسية لكى يساعده ويضع تحت يده الكثير من المختزلين والنساخ للعمل معه . فكانت فترة زاخرة بالمؤلفات ما بين سنة ٢١٨ وسنة ٢٣٠ م .

— حينما قام أوريجانوس بزيارة فلسطين مرة ثانية .. منحه صديقاه الأسقفان ثيوكتيستوس واسكندر درجة الكهنوت مما أثار عليه دمتريوس اسقف الاسكندرية فعقد مجمعا سنة ٢٣٠ م جرده من هذه الرتبة .

— استقر بعد ذلك أوريجانوس فى قيصرية فلسطين حيث انشأ مدرسة لاهوتية أصبحت مركزا من مراكز الكنيسة الفكرية .. وتتلمذ على يديه الكثيرون . ومن أبرزهم أغريغوريوس الصانع العجائب .

— لم يحاول العودة بعد موت ديمتريوس بالرغم من أن البابا الذى خلفه (باروكلاس) كان أحد تلامذته فى مدرسة الاسكندرية .

— اضطهد كثيرا فى عهد ديكيوس سنة ٢٥٠ م ولكنه مات فى عهد غالوس فى مدينة صور وقد بلغ ٦٩ سنة .

— كانت له فلسفته وكانت تفاسيره طبقا للمنهج الرمزى .. وفى مؤلفاته الكثيرة ظهر بوضوح تأثره الشديد بالمذاهب الفلسفية اليونانية وان كان دائما يصر على بطلان الفلسفة اذا ما قورنت بالوحى .. وانها عاجزة عن اصلاح اخلاق اتباعها .. لقد كان قريبا من الفلاسفة فى منهجهم وليس فى ارآئهم .. وكان يتمسك بحقائق التقليد الكنسى .

— كان يؤمن بأن هناك نوعين من المؤمنين .. البسطاء ويكفيهم المعنى المادى .. والكاملين القادرين أن ينفذوا الى الاسرار — وأن ايمان البسطاء بالمعجزات ولكن الكاملين بالتأمل .. ومع ذلك فان المؤمنين من البسطاء يفوقون حكماء الوثنية فى طهارتهم وشجاعتهم .

— وأوريجانوس له مؤلفات كثيرة تربو على الستة آلاف مخطوط أهمها تفسير الكتاب المقدس كله ما عدا سفر الرؤيا — وكتاب المبادىء والرد على كلسس الفيلسوف والذى ترجم الجزء الأول منه جناب الأب الموقر القس مرقس داود .. ومجموعة بحث الفوائد والهكسابلا وهى كتابة التوراة بستة لغات فى ستة أعمدة . والكنيسة القبطية تعتبره من أعظم علمائها .. وتلقبه بالعلامة أوريجانوس .

— والكتاب الذى بين أيدينا من أروع ما كتب أوريجانوس ويظهر بوضوح المنهج التحليلى فى تفكيره .

— وقد قام جناب الأب الموقر القس موسى وهبه مشكورا بترجمته لقراء العربية بأسلوب سلس وممتع . وقد سبق لجنابه أن ترجم كتاب « الروح القدس » للقديس امبروسيوس .

واذ نقدم هذا الكنز الثمين الى قرائنا الأحباء نرجو ان يكون ذلك دافعا لنا جميعا لكى تصبح حياتنا كلها صلاة بالروح والقلب فنستطيع أن نحطم حصون ابليس وجنوده ..

ليتبارك اسم الرب يسوع فى حياتنا كل حين الى الأبد .. أمين ؟

القاهرة فى ٢٢ يونيو ١٩٧٥ — ١٥ بؤونة ١٦٩١

مقدمة

صلاة الايمان :

نعمة الله تفوق كل حصر ولا يحدها قياس . وهى تفيض على الانسان من قبل الله فى المسيح يسوع الذى يقدم لنا هذه النعمة غنية فياضة بفعل الروح القدس (تى ٣ : ٥) فما يبدو لنا مستحيلا بحكم عقولنا البشرية وطبيعتنا الفانية ، يجعله ممكنا بارادته وسلطانه . والعطايا التى يهبها لنا عظيمة وتتخطى كل الامكانيات البشرية وارقى بما لا يقاس من مستوانا الزمنى الفانى . فمن المستحيل مثلا — على الطبيعة البشرية — أن تقتنى تلك الحكمة التى بها صنعت جميع الأشياء واشار اليها داود : ان الله بحكمة قد صنع كل الأشياء (مز ١٠٣ : ٢٤) ورغم استحالة الحصول عليها ، فقد صار ذلك ممكنا عن طريق ربنا يسوع المسيح ، الذى صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء (١ كو ١ : ٣٠) فمن هو ذلك الانسان الذى يستطيع ان يعلم مشورة الله او يبلغ الفطنة فى معرفة ارادته ؟ لأن افكارنا البشرية مضطربة وبصائرنا قلقة غير راسخة وهذا بدوره لأن الجسد الفاسد يثقل النفس ، والمسكن الأرضى يحط من سمو العقل بما يثيره من كثرة الهموم . واذا كنا بالجهد نستوعب ما على الأرض ، وبالكاد ندرك ما بين أيدينا ، فكم يكون عجزنا ازاء السماويات فما فى السموات من اطلع عليه (حك ٩ : ١٣ — ١٦) .

ومع هذا فهذا المستحيل صار ممكنا بنعمة الله الفياضة ، وها نحن نعرف ذلك الذى اختطف الى السماء الثالثة . ومن المحتمل ان يكون قد اطلع على ما فى هذه السموات الثلاث وانه سمع ما لم يخول لأحد من البشر ان ينطق به (٢ كو ١٢ : ٢ — ٤) .

ثم انه لا تبلغ الجراة بانسان أن يدعى القدرة على معرفة فكر الله (رو ١١ : ٣٤ و١ كو ٢ : ١٦) ومع ذلك يستطيع المؤمن ان ينال هذه الموهبة بالمسيح لأنه يقول : لا اعود أسميكم عبيدا ، لأن العبد لا يعلم ما يعمله سيده . لكننى قد سميتكم أحباء لأنى اعلمتكم بكل ما سمعته من ابى (يو ١٥ : ١٥) .

وعندما يعلن لهم مشيئة الله ويعلمهم اياها ، يأبى أن يقف منهم موقف السيد بل بالأحرى موقف المحب الحنون مع انه هو السيد فعلا وكما انه لا يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذى فيه ، هكذا ايضا امور الله لا يعرفها احد الا روح الله (١ كو ٢ : ١١) واذا كان لا أحد يعرف امور الله الا روح الله ، فمن المستحيل اذا على الانسان أن يعرف امور الله ولكن لاحظ جيدا كيف يصبح هذا فى متناول اولاد الله . ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ، التى نتكلم بها ايضا لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس (١ كو ٢ : ١٢ — ١٣) .

قبل الصلاة :

عزيزى امبروز المجاهد ، المثابر فى جهاده ، المنفى من أجل المسيح .

سيدتى تاتيانا البطلة المتواضعة ، التى أرجو الا تحزن لانقطاع عادة النساء عنها بل ننظر الى هذا الأمر بلا ضجر ، فقد جرى هذا فى القديم لسارة القديسة (تك ١٨ : ١١) .

ارجو الا يبدو لكما الأمر غريبا عندما تحدثت فى مقدمة حديثى عن الصلاة ، فأشرت الى ما يستحيل على الانسان من الأمور ، وأنه ليس هناك مستحيل لدى الله بل تصبح كل الأشياء ممكنة بنعمة الله . ويرجع هذا الى شعورى بالعجز والقصور حين اسعى أو احاول أن اعطى تفسيرا للصلاة ، واسعى الى تحرى الدقة والى ذكر ما يمكن أن يكون له قيمته . فهناك من الأمور ما يبدو لى مغلق مستحيل حين اعمل الفكر فيه محاولا أن اتقصى اعماقه مع أنه يبدو لأول وهلة سهلا ميسورا اذا كانت نظرتنا سطحية وهناك مثلا موضوع الصلاة اى الأمور التى ينبغى على المؤمن أن يقدم صلاته عنها ، وكيف يجب ان يصلى ، وما يجب أن يكون عليه فى الصلاة وهو يكلم الله ، واى الأوقات يناسب الصلاة . هذا كله يبدو لضعفى من الأمور الصعبة . ولكن من جهة نفسى لا افتخر الا بضعفاتى . غانى ان اردت أن افتخر لا اكون غبيا لأنى اقول الحق . ولكنى اتحاشى لئلا يظن أحد من جهتى فوق ما يرانى او يسمع منى (٢ كو ١٢ : ٥ و٦) .

فمن فرط الاعلانات يتحفظ القديس بولس لئلا يظن أحد من جهته فوق ما يراه أو يسمعه منه (٢ كو ١٢ : ٦) كما يعترف بأنه لا يعرف كيف يصلى فيقول : لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى رو ٨ : ٢٦ فمن الضرورى اذا لا أن نصلى فقط ولكن أن نصلى كما ينبغى ، وأن نطلب ما ينبغى لأن معرفة ما يجب أن نطلبه فى الصلاة يصبح بلا جدوى ما لم نعرف ايضا

كيف يجب أن نصلى . ومن ناحية أخرى ماذا نستفيد لو عرفنا كيف نصلى وفى نفس الوقت لم نعرف ماذا ينبغى ان نطلب .

وبعبارة أخرى فانى اقصد كلمات الصلاة عندما أقول ما يجب أن نصلى لأجله ، كما أعنى الروح الذى يصلى به الشخص حين أقول كيف ينبغى أن نصلى .

واليك مثال لما يجب أن نصلى لأجله : اطلبوا ما هو فوق أما الأشياء الصغرى فتزداد لكم (مت ٦ : ٣٣) واطلبوا السماويات أما الأرضيات فتزاد لكم (يو ٣ : ١٢ ومت ٦ : ٣٣ ولو ١٢ : ٣١) وقيل ايضا : وصلوا من أجل الذين يشهرون بكم « يسيئون اليكم » (لو ٦ : ٢٨) ، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة الى حصاده (مت ٩ : ٣٨ ولو ١٠ : ٢) وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة (لو ٢٢ : ٤٠ ومت ٢٦ : ٤١ ومر ١٤ : ٣٨) وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت (مت ٢٤ : ٢٠ ومر ١٣ : ١٨) ويوصينا قائلا : متى صليتم فلا تتكلموا كثيرا (مت ٦ : ٧) وهكذا .

أما فيما يختص بالطريقة او الروح الذى نصلى به فيقول : فأريد ان يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال . وكذلك ان النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لالىء أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة (١ تى ٢ : ٨ — ١٠) وفى موضع آخر يعلمنا الكتاب كيف نرفع صلواتنا فيقول : فان قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت ان لأخيك شيئا عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك (مت ٥ : ٢٣ — ٢٤) وفى الواقع لا توجد تقدمة ترفع أمام الله من مخلوق عاقل أعظم من صلاة ترتفع كلماتها رائحة طيبة ، يقدسها صاحبها بضمير قد تطهر من وصمة الخطية .

واليك مثل آخر لما ينبغى ان يكون عليه المصلى حين يقدم ذبيحة صلاته : لا يسلب أحدكم الآخر الا ان يكون على موافقة الى حين لكى تتفرغوا للصلاة ثم تجتمعوا أيضا معا لكى لا يتعظم عليكم الشيطان بسبب عدم نزاهتكم (١ كو ٧ : ٥) . وطبقا لهذا فالمصلى لا يقدم صلاته كما ينبغى الا اذا أدى واجباته فى الأسرار التى لا ينطق بها خاصة بالزواج ، فى احترام واتزان وبلا خضوع للشهوة . وبمقتضى هذه الوصية فان الموافقة التى يتحدث عنها تضع حدا لشغب الشهوة كما تثبط الانفعالات النجسة وتسلب الشيطان كل غرض يحصل عليه على حسابنا .

وبالاضافة الى هذا ، فهناك درس آخر فى كيفية الصلاة : ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شىء (مر ١١ : ٢٥) وكذلك يقول معلمنا بولس : كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على راسه شىء يشين راسه . واما كل امراة تصلى أو تتنبأ وراسها غير مغطى فتشين راسها (١ كو ١١ : ٤ و٥) فهذه الكلمات ايضا تتعلق بموضوع الكيفية التى نصلى بها .

واذا كان معلمنا بولس يدرك هذه الحقائق ، ففى امكانه أيضا أن يعدد لنا الأمثلة من الناموس والأنبياء وذخائر الانجيل ، وأن يضيف فى شرح كل مثال ما يميز الواحد عن الآخر الا أننا — بعد كل هذا — نراه ما زال بعيدا عن معرفة ما يجب ان يطلبه فى الصلاة أو كيف ينبغى أن يطلبه . وعندما يقول مثل هذا القول ، فانما ينبع هذا عن تواضع صادق دون ادعاء أو تزييف : لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى (رو ٨ : ٢٦) ثم يضيف الى ذلك ما يفيد أن هذا العجز قد يصبح خيرا للانسان — بسبب نقصه فى المعرفة — أن يعمل جاهدا حتى يقتنى ما عجز عنه ، مما دعاه الى القول : ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (رو ٨ : ٢٦) ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح . لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين (رو ٨ : ٢٧) لأن الروح الذى يسكن قلوب أولاد الله المباركين يصرخ : يا ابا الآب (غل ٤ : ٦) والروح يعلم جيدا أن انين الانسان فى المسكن الأرضى من المحتمل جدا أن يثقل على الساقطين والمنحرفين ، ولكنه فى حبه العظيم وحنانه على الانسان ، عندما يسمع تنهداتنا يتشفع بقوة مع الله بأنات لا ينطق بها . واذ يرى — بحكمته الالهية — أن أرواحنا قد انحنت الى التراب (مز ٤٣ : ٢٥) وهى سجينة فى جسد تواضعنا (فى ٣ : ٢١) لا يتشفع مع الله بأنات عادية بل بأنات من نوع خاص لا ينطق بها . هذه الأنات لها علاقة بتلك الكلمات السرية التى لم يعط انسان أن ينطق بها (٢ كو ١٢ : ٤) . والروح لا يكتفى بالشفاعة لدى الله ، بل يقدم شفاعة ملحة بلجاجة ، ولذا يقول أنه يتشفع بقوة . وانى أعتقد أنه يفعل هذا مع الذين يغلبون بمجد ، على غرار بولس الرسول حين قال : ولكن فى كل هذه يعظم انتصارنا (رو ٨ : ٣٧) . ومن المحتمل أن يتشفع الروح ليس فقط من أجل الذين انتصروا بل كذلك من أجل الذين لم يصلوا الى هذا المستوى أو سقطوا فى جهادهم لأنه يعرف أنهم يستطيعون أن ينتصروا .

ومع قول معلمنا بولس : لسنا نعلم ما يجب أن نصلى لأجله كما ينبغى ، ولكن الروح نفسه يتشفع فينا بقوة بأنات لا ينطق بها ، نستطيع أن نضيف ايضا قوله : اصلى بالروح واصلى بالذهن ايضا (١ كو ١٤ : ١٥) فالذهن لا يستطيع أن يصلى ما لم يسبق الروح فيصلى بالاستماع وبالتالى لا يستطيع أن يسبح أو يدعو الأب فى المسيح بالنغم أو الانسجام الذى

تقتضيه الصلاة ، أو فى الوقت المناسب أو بالتوافق المطلوب ما لم يفحص الروح كل الأشياء حتى أعماق الله (١ كو ٢ : ١٠) وعندئذ يسبح ويمجد الله الذى دخل الى أعماقه فأدركه ادراكا تاما . واعتقد أن أحد تلاميذ يسوع ، وقد أدرك ضعف الانسان الذى لم يعرف كيف ينبغى أن يصلى ، تحقق من هذا الضعف بصفة خاصة عندما أنصت الى كلمات المخلص الرائعة العميقة مع الآب . ولهذا توجه الى الرب بعد أن انتهى من صلاته قائلا : يا رب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضا تلاميذه . فالكتاب المقدس يصف لنا تتابع هذه الأحداث على هذا الوجه : واذ كان يصلى فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا ان نصلى كما علم يوحنا أيضا تلاميذه .. (لو ١١ : ١) .

هل يمكننا أن نتصور أن أحدا ممن نشأوا على تعاليم الناموس وكلمات الأنبياء ، وواظبوا على حضور المجامع ، لم يكن لديه فكرة عن كيفية الصلاة، حتى رأى الرب يصلى فى مكان معين ؟ ولكن هذا بلا شك يؤكد المعنى الذى سبق لنا الاشارة اليه . فمن الواضح انه اعتاد أن يصلى حسب عادات اليهود ، ولكنه تبين أنه فى حاجة الى ادراك أعمق كيف ينبغى أن يصلى . ثم يأتى سؤال آخر أيضا ، ترى ما الذى كان يعلمه يوحنا لتلاميذه عن الصلاة عندما خرجت اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة (مت ٣ : ٥) لكى يعتمدوا . ولأنه كان أكثر من نبى (مت ١١ : ٩) لا بد أنه كان يعرف شيئا ما عن الصلاة ربما لم يفصح عنه لكل من أتى اليه ليعتمد ، ولكنه قصره على الخاصة منهم ممن لم يعتمدوا فقط بل صاروا أيضا من تلاميذه .

مثل هذه الصلوات الروحية الصادقة — لأن الروح يصلى ويئن فى قلوب القديسين — كتبت فى الكتاب المقدس ، تفيض بالتعاليم العجيبة التى يقصر التعبير عن ايفائها حقها . وعندنا مثل واضح فى سفر صموئيل الأول حيث نجد طرفا من صلاة حنة لأن صلاتها بالكامل لم تدرج ، اذ أكثرت الصلاة أمام الرب وكانت تتكلم فى قلبها (١ صم ١ : ١٢) . وفى سفر المزامير نقرأ فى مطلع المزمور السادس عشر : صلاة داود ، والمزمور ٨٩ صلاة لموسى رجل الله ، والمزمور ١٠٢ صلاة المسكين اذا اعيا وسكب شكواه قدام الله ولما كانت هذه الصلوات قد رتبت ونطقت بالروح ، فاننا نجدها تفيض بتعاليم حكمة الله ، حتى لا يسع المرء ازاء هذه التعاليم الثمينة الا أن يصيح : من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور ، ويفهم حتى يعرفها (هو ١٤ : ١٠) .

ولهذا كانت معالجة موضوع الصلاة ليست بالعمل اليسير ، بل عملا ضخما يحتاج الى الاستنارة من الآب ، والتماس المعرفة من الابن البكر نفسه الله الكلمة (رو ٨ : ٢٩ وكو ١ : ١٥ و١٨ وعب ١ : ٦) والهام وفعل

الروح القدس حتى أستطيع أن أفهم وأن اتكلم كما ينبغى فى تناول هـذا الموضوع الخطير .

وحيث أنى انسان ضعيف ، لا أستطيع ادعاء القدرة على الصلاة . فانى اتضرع الى الروح قبل ان أتكلم عن الصلاة ، حتى يعطينى الروح ما أقوله روحيا بالكمال ، وحتى أشرح الصلوات التى سجلها لنا الانجيل .

ومن هنا نستطيع أن نتقدم الى دراسة الصلاة .

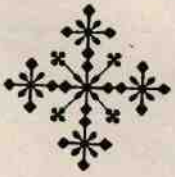

الجزء الأول

الصلاة فى مفهومها العام

الفصل الأول

حول كلمة الصلاة

على قدر ما واتانى البحث والجهد ، فقد وجدت أن كلمة الصلاة استخدمت للمرة الأولى ، عندما هرب يعقوب من غضب اخيه عيسو وذهب الى بيت بتوئيل أو حاران Mesopotamia ، كما أوصاه أبوه اسحق وأمه رفقة (تك ٢٧ : ٤١ وما بعده) . ونذر يعقوب للرب نذرا فقال : ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى نا سائر فيه واعطانى خبزا لآكل وثيابا لألبس ورجعت بسلام الى بيت ابى يكون الرب لى الها ، وهذا الحجر الذى اقمته عمودا يكون بيت الله وكل ما تعطينى فانى أعشره لك (تك ٢٨ : ٢٠ — ٢٢) .

وهنا نلاحظ أن كلمة الصلاة تدل على معنى يختلف عن دلالة التضرع والدعاء التى تقترن بالصلاة . فالصلاة هنا تستعمل للتعبير عن موقف الشخص الذى يتعهد بقسم أو بعهد أن يعمل أو يؤدى أمورا معينة اذا منحه الله اشياء أخرى أو طلبات تمناها ، الا أن هذا التعبير يشير ايضا الى المعنى المألوف ، فنجد مثل هذا فى سفر الخروج بعد أن وصف ضربة الضفادع — وهى الضربة الثانية من الضربات العشر — .. فدعا فرعون موسى وهارون وقال صليا الى الرب ليرفع الضفادع عنى وعن شعبى فأطلق الشعب ليذبحوا للرب (خر ٨ : ٨) واذا بدت هناك صعوبة ما فى ادراك مدلول كلمة الصلاة كما استخدمها فرعون ، لأنها تجمع فى مضمونها بين المعنى المألوف للتضرع فضلا عن التعهد والنذر ، فما علينا الا أن نقرا ما يلى هذه الكلمات : فقال موسى لفرعون عين لى متى اصلى لأجلك ، لأجل عبيدك وشعبك لقطع الضفادع عنك وعن بيتك وعن شعبك ولكنها تبقى فى النهر (حز ٨ : ٩) .

ونلاحظ كذلك فى الضربة الثالثة — ضربة البعوض — أن فرعون لم يطلب تقديم الصلاة ، وبالتالى لم يرفع موسى عنه صلاة . وفى الضربة الرابعة — ضربة الذباب — يقول فرعون : صليا لأجلى (تك ٨ : ٢٨)

فيجيبه موسى : ها انا اخرج من لدنك واصلى الى الرب فيرتفع الذباب عن فرعون وعبيده وشعبه غدا (تك ٨ : ٢٩) ثم نقرا بعد ذلك بقليل : فخرج موسى من لدن فرعون وصلى الى الرب (تك ٨ : ٣٠) ثم يعود فرعون ايضا فى الضربتين الخامسة والسادسة فلا يطلب الصلاة ، وموسى طبعا لا يصلى من اجله ، بينما فى الضربة السابعة : فارسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما اخطات هذه المرة . الرب هو البار ولكنى انا وشعبى هم الأشرار . صليا الى الرب حتى تكف رعود الله والبرد والنار (خر ٩ : ٢٧ و٢٨) ثم نقرا بعد ذلك : فخرج موسى من لدن فرعون وبسط يديه الى الرب فانقطعت الرعود (خر ٩ : ٣٣) ولن نتعرض الآن لمناقشة السبب الذى دعاه الى القول « بسط يديه الى الرب » ولم يقل « صلى » كما حدث فى المرات السابقة، ونرجىء هذا البحث الى وقت آخر . ولكنه فى الضربة الثامنة يكرر قوله السابق ففرعون يقول : صليا الى الرب الهكما ليرفع عنى هذا الموت . فخرج موسى من لدن فرعون وصلى الى الرب (خر ١٠ : ٧ و١٨) .

مما سبق نرى أن كلمة الصلاة قد تستخدم فى احيان كثيرة للدلالة على معنى يختلف عما تعارف عليه الناس ، كما رأينا فى قصة يعقوب .

ونجد مثالا آخر فى سفر اللاويين : وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل وقل لهم الرجل الذى يفرز نفسه ويتعهد بها للرب فليدفع القيمة ، فان كان تقويمك لذكر من ابن عشرين سنة الى ابن ستين سنة يكون تقويمك خمسين شاقل فضة حسب شاقل المقدس (لا ٢٧ : ١ — ٣) وفى سفر العدد : وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى اسرائيل وقل لهم اى رجل او امراة قدم نذرا مقدسا ان يفرز نفسه للرب فعن الخمر والسكر يمتنع (١) (عد ٦ : ١—٣) وهكذا بالنسبة للمنذورين . وبعد قليل يقول : ويقدس رأسه فى ذلك اليوم ويقدس للرب أيام نذره (عد ٦ : ١١ و١٢) ثم يقول : وهذه شريعة النذير يوم تكمل ايام انتذاره (عد ٦ : ١٣) وبعد بضع آيات اخرى يقول : وبعد ذلك يشرب النذير خمرا . هذه هى شريعة النذير الذى ينذر شريعة النذير يوم تكمل ايام انتذاره (عد ٦ : ١٣) وبعد بضع آيات اخر كذلك يعمل حسب شريعة انتذاره (عد ٦ : ٢٠ و٢١) . وبالقرب من نهاية سفر العدد نقرا : وكلم موسى رؤساء اسباط بنى اسرائيل قائلا هذا ما امر به الرب اذا نذر رجل نذرا للرب او اقسم قسما او التزم بتعهد فلا ينقض كلامه . حسب كل ما خرج من فمه يفعل . واما المراة فاذا نذرت نذرا للرب

---

(١) المنذورون المشار اليهم فى هذا العدد وما بعده هم الأشخاص المكرسون لله . يرتبطون بعهد مقدس فيلتزمون بالامتناع عن بعض الأمور منها الامتناع عن كل المشروبات المسكرة ، وعن قص الشعر وعن لمس اجساد الموتى .

والتزمت بعهد فى بيت ابيها فى صباها وسمع أبوها نذرها والعهد الذى الزمت نفسها به فان سكت أبوها لها ثبتت كل نذورها وكل عهودها التى الزمت نفسها بها تثبت (عد ٣٠ : ١ — ٤) ثم تأتى بعد ذلك عدة توصيات خاصة تقدمها الشريعة فى هذا الشأن ، كما جاء فى الأمثال : على ذبائح السلامة . اليوم أوفيت نذورى (أم ٧ : ١٤) .

وهناك كمين قد يسقط فى شراكه الانسان ، عندما يتسرع فى النذر (٢) فيقدم للرب شيئا يخصه ويجب ان يحتفظ به ، فمتى قدم نذره فلن يكون امامه بعد ذلك سوى الندم . ولهذا نقرأ فى سفر الجامعة : أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى (جا ٥ : ٥) . ومما يشير الى الصلاة بمعنى النذر ما جاء فى سفر الأعمال : عندنا اربعة رجال عليهم نذر (أع ٢١ : ٢٣) .

اذا ، فقد كان من الحق فى البداية أن نميز بين المعانى التى تشير اليها كلمة الصلاة ، ويبدو لى الآن أن كلمة الدعاء أو الاسترحام Invocation تحتاج ايضا ان نتعمق مفهومها ، لأن هذه الكلمة فضلا عن استعمالها الشائع ، فهى تشير الى الصلاة كما قيل مثلا فى قصة حنة فى سفر صموئيل الأول : وعالى الكاهن جالس على الكرسى عند قائمة هيكل الرب ، وهى مرة النفس فصلت (دعت) الى الرب وبكت بكاء ونذرت نذرا وقالت يارب الجنود اذا نظرت نظرا الى امتك وذكرتنى ولم تنس امتك بل أعطيت امتك زرع بشر فانى اعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو رأسه موسى (صم ١ : ٩ — ١١) .

فاذا امعنا النظر فى هذه التعبيرات « دعت الرب » و « نذرت » و« صلت » نستطيع بلا شك أن نقول عن حنة أنها جمعت فى صلاتها بين مدلوليها . فكلمة دعت قد استخدمت بالمعنى الذى تنقله الينا كلمة الصلاة ، وفى نفس الوقت وردت كلمة « صلت » بمعنى تقديم النذر الذى سبق الاشارة اليه فى سفر اللاويين والعدد (٣) لأن عبارة « فانى اعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو رأسه موسى » ليست دعاء فى واقع الأمر بل هو نذر بلا شك ، شأنه فى ذلك شأن النذر الذى قدمه يفتاح : ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا : ان دفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب واصعده محرقه قض (١١ : ٣٠ و٣١) .

---

(٢) يستمد أوريجانوس هذه الفكرة من (أم ٢٠ : ٢٥) « هو شرك للانسان ان يلغو قائلا مقدس وبعد النذر أن يسأل » .

(٣) جاء هذه الآية فى ترجمة Dovay
She **praayed** to the —— And she made a vow.
وفى الترجمة الانجليزية المعروفة باسم الملك جيمس :
And **Prayed** unto the Lord —— And she vowed a vow.

الفصل الثانى

الصلاة بين الرفض والممارسة

لقد طلبتم الى أن أتناول بالمناقشة ما ساقه البعض من اعتراضات حول مبدأ الصلاة . فبعض هؤلاء المعارضين يظنون أن لا ضرورة للصلاة اصلا ، واذا قدمت فلا فائدة لها ولا تأثير ، وعلى هذا فمن العبث أن نصلى . سوف أعمل جاهدا فى تحقيق رغبتكم وتحميص هذه الآراء ، وفى هذا المجال سنقتصر فى استخدام كلمة الصلاة على معناها المألوف .

لا يمكن للناس — بصفة عامة — أن يقبلوا مثل هذا الرأى بل ولا يجد له من الدعاة من يؤمن به بقوة ويقين ، لأن كل من يؤمن بالعناية الالهية ، وسلطان الله وسموه على الوجود لا يمكن أن يرفض مبدأ الصلاة . ولا ينادى بهذا الرأى سوى الملحدون تماما ، أو الذين يكتفون من الايمان بالاسم فقط ولكنهم مجردون من التقوى اذ ينكرون العناية الالهية (١) .

ولا شك أن هذا هو عمل العدو الشرير (٢ تس ٢ : ٩) الذى يقنع بعض الناس بعدم جدوى الصلاة وفى نفس الوقت ينسب هذه التعاليم أو بالحرى هذا التجديف الى شخص المسيح وشريعة ابن الله . ودعاة هذا الرأى يغفلون كل ادراك حسى ، ولا يمارسون سر المعمودية ، ويستهينون بسر الأفخارستيا ، فيتلاعبون بنصوص الكتاب المقدس بما يوحى بأنه لا يوصى بالصلاة التى نتحدث عنها ، بل يحاولون اقناعنا بأنه يعلم تعليما آخر يغاير ما فيه .

وسوف استعرض هنا الحجج التى يستند اليها هؤلاء المقاومون ، كما أقصر حديثى الى من يامن باله فوق الكل كما يؤمن بالعناية الالهية ، لأن هذا البحث ليس مجالا لمناقشة الذين ينكرون الله وعنايته .

---

(١) لعل اوريجانوس يقصد بهؤلاء المنكرين اتباع فلسفة أرسطو والأبيقوريين ممن آمنوا بالمسيحية .

تقول هذه الجماعة ان الله يرى كل الأشياء قبل أن تحدث . وليس هناك شيء — اذا ما حدث — يصل الى علمه لمجرد واقعة حدوثه كما لو كان مجهولا لديه قبل ذلك . ورتبوا على هذه الحقيقة قولهم أنه لا جدوى للصلاة لله لأنه يعرف ما نحتاج اليه قبل أن نصلى ؟ لأن الأب السماوى يعلم ما نحتاج اليه قبل أن نطلبه (مت ٦ : ٨) ومن المعقول والمقبول أن الله من حيث انه الأب وخالق كل الأشياء ، ويحب كل الكائنات ولا يكره شيئا مما صنع (حك ١١ : ٢٥) جدير به — كما يحق للأب — أن يضبط كل الأشياء من أجل سلامة كل منها ، دون الصلاة لأجلها ، بل يعتنى بكل أولاده دون أن ينتظر حتى يطلبوا هذا . وفى الواقع — أيضا — قد لا تتوفر لديهم القدرة على الطلبة ، أو — بسبب الجهل — قد يطلبون شيئا لا يناسبهم أو ينفعهم . ذل ولا نعدو الواقع اذا اضفنا أننا كثير نشترك فى فكر الله كما يشترك الأطفال الصغار فى فكر آبائهم .

ونحن نقول — اكثر من ذلك — أن الله فى علمه السابق لا يعرف فقط ما سيحدث ، بل ويرتب أيضا هذه الأمور والأحداث ، بحيث لا يمكن أن يحدث شيء منها على خلاف ترتيبه السابق . وعلى هذا اذا بدا لانسان ما أن يصلى من أجل الشمس حتى تشرق ثم ادعى أن هذا يحدث بفضل صلاته فهو انسان ساذج اذ يظن أن ما قد يحدث بدون صلاته قد حدث بسببها . وكل من يظن أن أمرا يحدث بسبب صلاته مع أنه قد يحدث بدونها انما يدعى ادعاء باطلا يقوم على غير اساس . وعلى نفسى المنوال ، اذا ضاق الانسان ذرعا بحرارة الصيف وتألم من اشعة الشمس الحارقة ثم تراءى لهذا الانسان انه بالصلاة يستطيع أن يرد الشمس الى فلك الربيع، رغبة منه فى الاستمتاع بنسائم الربيع العليلة ، فلا شك أن هذا الادعاء يتخطى كل تعقل . وينطبق هذا على كل من يخامره الظن بأنه يستطيع أن يتفادى ما سبق ترتيبه وما أصبح بالضرور مقضيا به على الجنس البشرى . لا جدال أن هـذا جنون مطبق .

واذا كان الأشرار قد زاغوا من الرحم (مز ٥٧ : ٤ ومز ٥٨ : ٣) والبار يفرز من بطن أمه (غل ١ : ١٥) لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيرا أو شرا — لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذى يدعو .. قبل أن الكبير يستعبد للصغير (رو ٩ : ١١ و١٢) فمن العبث اذا أن نطلب غفران الخطايا أو نلتمس قوة الروح حتى ننال القوة على عمل كل شى فى المسيح الذى يقوينا (فى ٤ : ١٣) لأنه ما الفائدة ، ان كنا من الخطاة قد زغنا ورفضنا من الرحم ؟ أو ان كنا من المختارين من بطون امهاتنا فلا بد أن ننجح فى كل طرقنا دون الحاجة الى الصلاة . فيعقوب لم يصل قبل ولادته ولم يطلب ما يمكن اعتباره مبررا للبنوة التى قيلت عن

سيادته على أخيه عيسو ، وأن عيسو يصبح عبد له (تك ٢٥ : ٢٣) ومن ناحية أخرى ما هى الخطية التى جناها عيسو حتى يبغض قبل أن يولد ؟ ولماذا يصلى موسى — كما نرى فى مزمور ٨٩ — ما دام الله هو ملجأه .. قبل أن تصنع الجبال او تتكون الأرض والمسكونة ؟ (مز ٨٩ : ١) .

بالنسبة للمؤمنين وخلاصهم قيل فى الرسالة الى افسس : الآب .. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة . اذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه (أف ١ : ٣ — ٥) فالانسان — اذا — اما أن يكون فى عداد المختارين قبل تأسيس العالم وفى هذه الحالة يستحيل أن يسقط من اختياره — وبالتالى لا يحتاج الى الصلاة ، واما ان يحسب ضمن المرفوضين غير المختارين ، ومن غير الذى سبق فعينهم وبالتالى — أيضا — فلا جدوى لصلاته ولا غناء فيها . حتى لو صلى آلاف المرات . فلن ينال استجابة لصلاته ، لأن الذين سبق فعرفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة مجد ابنه .. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا . والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا (رو ٨ : ٢٩ و٣٠ وفى ٣ : ٢١) .

ولماذا ينزعج يوشيا الملك (٢ مل ٢٢ : ١١ و١٨ و٢ مل ٢٣ : ٣٠) ويقلق من أجل صلاته من حيث سماعها واستجابتها ؟ ألم تكن هناك نبوة قيلت عنه قبل ذلك بأجيال كثيرة (١ مل ١٣ : ١) وما بعدها . حتى بالنسبة لما يجب عليه أن يفعله ، فقد أعلن له ذلك من قبل وسمعه تصريحا على مسمع من كثيرين . ولا فائدة ليهوذا لو صلى ، بل يجب عليه أن يمتنع عن الصلاة ما دامت صلاته تحسب عليه خطية كما تقضى بذلك النبوة التى قيلت عنه من ايام داود من أنه سيفقد وظيفته ويأخذها آخر امز ١٠٨ : ٧و٨ وأع ١ : ١٦ و٢٠) ومن هذا كله يتضح لنا أن الله لا يمكن أن يتغير فى مقاصده ، وأنه سابق على كل الموجودات وبالتالى يثبت على ما سبق فعينه . فمن الحماقة أن يصلى المرء على أساس أنه يستطيع بالصلاة أن يغير تدبير الله السابق او كأن الله لم يدبر كل الأشياء من قبل بل ينتظر صلاة كل واحد منا ليتشفع عسى أن يضبط الله الأمور بما يتفق مع مشيئة المصلى وطبقا لصلاته . وفى مثل هذه الحالة يبدو الله مدبرا للاشياء ، وهذه نجدها معقولة عند فحصها ، ولكن دون أن يكون قد سبق الله فوضعها فى اعتباره .

ومن هذا نخلص الى ان اعتراض هؤلاء المقاومين — كما فصلته فى رسالتك — يمكن أن يتلخص فى :

أولا : اذا كان الله قد سبق فعرف كل ما سيحدث ، وأن هذه الأشياء لا بد أن تحدث فالصلاة اذا لا فائدة منها .

ثانيا : واذا كانت كل الأشياء تحدث طبقا لارادة الله ، وقضاء الله ثابت، وأن شيئا مما يريد لا يمكن أن يتغير ، فلا أثر للصلاة اذا ولا فائدة من ورائها.

وقبل الاجابة على هذه الاعتراضات التى تحرض على الامتنـــاع عن الصلاة ، أو تؤدى الى الفتور فيها ، لا بد لنا أن نتدارس بعض النقاط التى سنتناولها فيما بعد بتفصيل أوفى .

١ ــ الكائنات المتحركة ، منها ما يعتمد فى حركته على مصدر خارجى ، ومنها ما تقوم حركته على عوامل داخلية ذاتية (أ) فالكائنات غير الحية أى الجامدة ، أو الأشياء التى يتم تركيبها بطريقة ما تستمد حركتها من عامل خارجى أما (ب) الكائنات الحية فتتحرك بسبب وجـــود الروح أو جوهر طبيعى ما . وهذا النوع الأخير يمكن أن ندرجه ضمن الأشياء المركبة .

فالأحجار مثلا او كتل الأخشاب التى توقفت عن النمو يمكن أن تركب وتوضع معا فتوجه بطريقة ما أى تتلقى القوة على الحركة من الخارج . واجسام الحيوان والنبات التى يمكن نقلها ، اذا قام شخص بنقلها من مكان الى آخر ، فهذه لا تساوى حركتها حركة الكائنات الحية ، ولكنها تشبه ــ من هذه الناحية ــ قطع الأحجار أو كتل الخشب التى توقفت عن النمو . حتى لو اخذنا النظرية التى تنادى بفناء الأجسام وهلاكها ، فالحركة ــ والحالة هذه ــ هى مجرد حادث يكتنف تحلل هذه الأجسام وفناءها .

وبالاضافة الى هذا ، فهناك طبقة اخرى من الكائنات تتحرك بفعل عامل داخلى أى من تأثير طبيعة النمو أو كما يقول المدققون فى التعبير والتعريف ــ انها حركة نابعة أو خارجة من الذات (٢) . وهناك كذلك نوع ثالث من الحركة نجدها فى الحيوان وتوصف بأنها حركة الذات أو الحركة الذاتية وهذا النوع الأخير ــ فيما اعتقد ــ هو حركة الكائنات العاقلة .

فلو جردنا الحيوان من حركته الذاتية لما كان حيوانا ، بل يصبح مشابها اما للنبات الذى يتحرك بفعل عامل داخلى فقط هو طبيعة النمو ، أو كالحجر الذى يعتمد فى حركته على مؤثر خارجى . أما اذا تجاوب الكائن مع علة حركته الخاصة بحيث نستطيع أن نقول أنه متحـــرك بذاته ، فهذا الكائن لا بد وأن يكون كائنا عاقلا .

---

(٢) يشير اوريجانوس هنا الى حركة نمو النبات .

٢ — فاذا اعتقد البعض أننا مجردون من حرية الارادة ، فلا بد لهم أن يصلوا الى نتائج حمقاء . فنحن من ناحية لا يمكن أن نكون من جنس الحيوان، ومن الناحية الأخرى لسنا من المخلوقات العاقلة . لأننا — طبقا لما يقولون أو ترتيبا على استدلالهم — نتحرك بفعل عامل خارجي . لا نتحرك من ذواتنا ولكنا نعمل ما نعمله أو ما يظن أننا نعمله كالآلات . وهنا لا بد للانسان أن يرجع الى نفسه ، ويتأمل خبرته الشخصية ، عسى أن يقتنع — في محاولة جادة — أنه يستطيع أن يقول أنه ليس هو نفسه صاحب الارادة في أن يقول ما يقوله ، وليس هو الذي يأكل أو يمشي ، وأنه ليس بذاته الذي يقر ويقبل هذا الرأي او ذاك ، وليس هو الذي يرفض غيره ويعتقد أنها آراء فاسدة !!

وكما أنه من المستحيل أن تفرض على انسان ما أن يؤمن ببعض التعاليم، حتى لو قدمت له أسانيدك بمهارة ، وابتكرت عشرات الطرق واستخدمت افضل أساليب المنطق في التدليل والبرهان ، هكذا ايضا بنفس الطريقة لا يمكن أن تجعله يصدق — بالنسبة لأفعال الانسان — أن ارادته ليست حرة . عجيب هو ذلك الرأي الذي يتمادى في تجريد الانسان من ارادته حتى يقول أننا لا نستطيع أن نفهم شيئا أو أننا نعيش في كل أمورنا على قضاء معلق غير محدد (٣) . الا يعاقب السيد خادمه اذا ارتكب خطأ ما ؟ أما يدان الابن الذي لا يقدم الكرامة لوالديه ؟ ومن ذا الذي لا يلوم امرأة زانية باعتبارها ارتكبت فعلا شائنا ؟ ! ان الحقيقة والواقع يرغماننا ويفرضان علينا — مهما كانت بلاغة الأدلة التي تؤيد العكس — أن نتصرف ايجابيا ، وأن نحكم بالبراءة أو الادانة .

وحيث أننا نؤمن بحرية الارادة ، فبالتالي تخضع افعالنا للتبرير أو الادانة .

٣ — فاذا رضينا عن حرية ارادتنا ، التي تفصح عن نفسها في ميول لا تحصى نحو الفضيلة أو الرذيلة على السواء ، وفي الالتزام بالواجبات المعتادة أو التحلل منها ، فالنتيجة التي لا مندوحة عنها هي أن الله بالضرورة يعرف مقدما الشكل والتعبير الذي ستكون عليه هذه الارادة ، قبل أن تتكون ، مع كل ما ستكون عليه أو يطرأ عليها منذ بدء الخليقة وتأسيس العالم (٤)

---

(٣) يقصد بهذا تعليق القضاء وانتظاره وكان ينادي بهذا الرأي اتباع الاكاديمية الجديدة الذين قالوا انه لا يمكن ادراك شيء أو استيعابه وبالتالي فلا يحق للانسان أن يقطع بالرأي في أمر من الأمور فيقبله أو يرفضه .

(٤) في هذا النص يجمع أوريجانوس بين رو ١ : ٢٠ « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى انهم بلا عذر » .

وبين مت ٢٥ : ٣٤ « ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركي ابي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » .

(رو ١ : ٢٠ ومت ٢٥ : ٣٤) ففى كل الأشياء التى سبق الله فرتبها طبقا لما سبق فرآه من ارادتنا الحرة ، سبق فرتب أيضا — طبقا لاحتياج كل عمل من أعمالنا الارادية — ما يجب أن يحدث نتيجة لعنايته الالهية . وعلى هذا تتابع أحداث حياة الانسان على الصورة التى تكونها كيفما كانت .

الا أن علم الله السابق لا ينبغى أن نعتبره سببا لما يجرى من أحداث أو آثار تتبع أعمالنا الحرة الناجمة عن انفعالاتنا الخاصة . لأن علم الله السابق لا يعنى سلب ارادة الانسان أو التدخل فى حريته . حتى لو افترضنا أن الله لا يعرف ما سيحدث ، فلا يسعنا رغم هذا الا أن نختار أن نفعل هذا أو ذاك — ولكن كنتيجة لعلمه السابق ، لا بد للاعمال الارادية التى تصدر عن الانسان أن تتواءم وتتلاءم مع الترتيب والتنسيق الذى ينتظم الوجود جميعا ، حيث انه ضرورة لازمة لوجود الكون أو الوجود كله (٥) .

٤ — وما دام الله يعرف الارادة الحرة لكل انسان ، وبالتالى سبق فرآها ، فهو يرتب بعنايته الالهية ما يستحقه كل واحد بعدل ، فيزوده بما قد يصلى لأجله . وترتيب هذا وذاك انما يفصح عن أمانته وهدف مشيئته . ومما يؤيد هذه الحقيقة أننا لو تتبعنا ترتيبه الالهى بطريقة منطقية فسوف نجد انه أحكم تدبيره . فمثلا يمكننا أن نتخيل الأمر على هذا النحو : هذا الرجل الذى يصلى بفهم وادراك سأعيره أذنا صاغية بسبب صلاته نفسها التى يلهج بها قلبه ، ولكن هذا الآخر لن أميل بسمعى اليه لأنه ليس جديرا بالسمع ، أو لأنه يطلب أشياء ليست فى صالحه أن ينالها ، ولا يليق بى أن أعطيه اياها . فاذا كانت الصلاة تطلب هذا أو ذاك مما يدخل فى هذا النطاق مثلا فلن اسمع لصلاته أما اذا كانت صلاته من النوع الأول فانى استجيب . واذا اضطرب أحدهم لأن سابق علم الله بما سيكون ، هو علم لا يشوبه خطأ . فكل ما يحدث بالضرورة — كما يجب علينا أن نقول — انما لدى الله علم دقيق وحاسم به . وفى هذه النقطة بالذات ، يعلم الله على وجه الدقة أن هذا الانسان أو ذاك لا يطلب — على وجه التحقيق — أمرا صالحا ، بل يلتمس أمرا رديا مما يجعل هناك استحالة فى اجابته الى طلبته . وقد يجرى الأمر كذلك أيضا : انى سأعمل واحقق طلبة هذا المصلى ، لأنه حقيق بى ان افعل هذا ما دامت صلاته ستكون بلا لوم ودعاؤه بدون عيب . فاذا طلب فى صلاته شيئا بالذات ، أعطيه وأغمره بكثرة تزيد عما يطلب أو يظن (اف ٣ : ٢٠) يوافقنى أن اغلب هذا الانسان بأعمال البر والخير فأعطيه اكثر مما يستطيع أن يطلب . ومع هذا الانسان الذى يتميز بهذه الأخلاق ، لا بد ان ارسل له ملاكا خادما خاصا حتى يعمل معه لأجل خلاصه فى فترة

---

(٥) الرد على كلسس الفصل الرابع ف ٧٠ لأوريجانوس Contra Celsus

معينة ، ولانسان آخر يقول : سأرسل له ملاكا آخر — قد يكون من رتبة أعلى ، لأن هذا أبر وأفضل من سابقه . وفى حالة ثالثة ، عندما يكرس الانسان نفسه للتعاليم المتعالية (العظائم) يتركه للضعف البشرى حتى يعود الى الأمور العادية فيقول : سأحرمه من معينه القوى ، وعندما يفارقه هذا المعين تنتهز الفرصة قوى الشر — حسب طاقته واستحقاقه — وتستغل ضعفه وتنجسه عندما يبدى استعداده للخطية ، وارتكاب هذه أو تلك من الآثام والأوزار .

٥ — وعلى هذا المنوال يتكلم ذاك الذى سبق فرتب كل الأشياء : سيلد آمون يوشيا ، وهذا سوف يخفف سقطات أبيه ، ويتخذ لنفسه طرق البر بفضل الحاشية التى تحيط به ، فيكون يوشيا رجلا صالحا ومستقيما يقضى على المذبح الذى بناه يربعام بالشر والاثم (٤ مل ٢١ — ٢٤) . وأعلم أن ابنى الوحيد سينزل ويسكن فى وسط البشر ، ويهوذا سيكون بارا ومستقيما فى بادىء الأمر ، ولكنه يتحول فيما بعد ويسقط فى الضعف البشرى . ولهذا فلابد أن ينال المجازاة العادلة (مت ٢٧ : ٥ وأع ١ : ١٨) . ولا شك أن خاصية العلم السابق بكل شىء كانت من خصائص ابن الله أيضا كما اتضح ذلك فى قصة يهوذا وغيرها من الأسرار ، فقد عرف مقدما ما سيحدث . ورأى يهوذا والخطايا التى سيتردى فيها . حتى قبل أن يولد يهوذا أعلن عنها بمعرفة كاملة علم فم داود النبى : يا اله تسبيحى لا تسكت ، لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش .. الخ (مز ١٠٨) .

وبنفس الطريقة يقول عن بولس : انى أعرف مقدما مستقبل بولس وحرارته الدينية ، لهذا سأختاره فى (اف ١ : ٤) (٦) قبل تأسيس الوجود ، وكما رتبت من قبل بدء الخليقة ، سوف اسلمه عند ميلاده فى حراسة هذه القوات ، التى ستعمل معه فى خلاص جنس البشر . ولأنى قد افرزته من بطن امه غل ١ : ١٥ فسأسمح له فى بداية حياته وفورة شبابه أن ينكل بالمؤمنين بالمسيح ، وسيمارس طغيانه عن جهل وتحت ستار الناموس فيحفظ ملابس الراجمين عبدى وشهيدى اسطفانوس (أع ٧ : ٥٧ و٢٢ : ٢٠) حتى اذا ما تجاوز شبابه العنيد الحار ، يستطيع أن يبدأ من جديد . واذا تحول الى ما هو أفضل لا يجد جرأة أن يفتخر أمامى (١ كو ١ : ٢٩) بل يعترف نادما : لست أهلا لأن ادعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله (١ كو ١٥ : ٩) وعندما يعاين الخيرات والعطايا التى ستوهب له بعد انقضاء تلك الطياشة المستترة بالدين سيقول : ولكن بنعمة الله أنا ما أنا

---

(٦) كما اخترنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة .

(١ كو ١٥ : ١٠) وهكذا بفضل تورطه فى حماسته الشبابية ضد المسيح ، يمتنع عن الارتفاع أو التعالى بسبب الاعلانات (٢ كو ١٢ : ٧) التى فى صلاحى — سأظهرها له .

٦ — واخيرا نواجه النقد الموجه الى الصلاة التى تطلب من أجل الشمس حتى تشرق . ولست ارى بأسا فى تقديم هذه الطلبة أو تكرارها . فالشمس تتبع قانونا خاصا يمثل لونا خاصا من حرية الارادة . ولهذا يقول الكتاب : سبحيه ايتها الشمس والقمر . ومن البديهى أن ما يصدق على الشمس والقمر لا بد أن يصدق على غيرها من الكواكب : سبحيه يا جميع الكواكب والنور (مز ١٤٨ : ٣) . ولما كان الله يستغل الارادة الحرة لكل انسان ويرتبها لاتمام غاية معينة بحيث تتناسب وتنسجم مع غاية الوجود ، هكذا نجد ايضا أن الله عن طريق القوانين المنظمة للطبيعة ضبط ارادة الشمس والقمر والكواكب ، من حيث انها ثابتة لا تتغير وأحكم ضبطها ليتم تدبيره فى ترتيب كل نظام السموات وتنسيقه (تث ٤ : ١٩) مع ما يتضمنه ذلك من سير الكواكب وحركتها .

واذا كنت أقدم صلاتى عن أمور تعتمد على حرية ارادة الآخرين ، ومع هذا تعتبر صلاتى صحيحة ، فلا بأس — اذا — من تقديم الصلاة عما يرتبط بالنظام الطبيعى (٧) الذى قد أحكم تدبيره من أجل خير الوجود . وينتاب البشر ضروبا من الانطباعات قد تحرك ما فيهم من ضعف أو من ميول تنزع الى الخير ، وتنتقل هذه الى أقوالهم وأفعالهم ، فماذا يكون الأمر لو خضعت الاجرام السماوية لمثل هذه الانفعالات ؟ تتحول عن مسارها أو تغيره مع انه قد ضبط وحدد لمصلحة الكون كله . فليس من المصلحة اذا أن يصلى انسان لكى يطلب مثل هذا التغيير . وفى نفس الوقت فان العقل الذى يحكم ارادة هذه الأجسام يعصمها من الوقوع تحت طائلة مثل هذه الانفعالات .

---

(٧) وهكذا تصلى الكنيسة من أجل الزروع والأهوية ومياه النيل .

الفصل الثالث

امتيازات الصلاة

أسس الصلاة :

مما يرتبط ببحثنا أن نقدم بعضا من الأمثلة والنماذج التى تقنع الآخرين برفعة الصلاة وقيمتها حتى يتحولوا عن فتورهم واهمالهم . هناك استحالة دون ولادة الأطفال أو انجابهم اذا لم يتوفر ركنان : المرأة والفعل الذى يؤدى الى تكوين الطفل . هكذا أيضا من المستحيل أن نحصل على هذا أو ذاك من احتياجاتنا أو تطلبات قلوبنا دون أن يقدم المرء صلاته موفورة الأركان من حيث الطريقة والميول التى يجب أن تقترن بها ، ونوع الايمان الذى تستمد قوته منه ، وسجل حياة المرء نفسه التى يجب أن يمارسها بالطريقة المناسبة. فالصلاة ليست مجرد تمتمة للكلمات ، أو سؤال أمور تافهة أو التماس الأمور الأرضية . كما لا يليق التقدم للصلاة والنفس تنتهبها حالة من حالات الغضب، أو المخاصمات التى تشتت الذهن (مت ٦ : ٧ و اتى ٢ : ٨) بل ولا يستطيع المرء أن يخصص وقتا للصلاة ما لم يتطهر أولا ، فالذى يصلى لن يحصل على غفران خطاياه اذا لم يغفر هو نفسه — ومن كل قلبه — لاخيه الذى أساء اليه وطلب صفحه (مت ٦ : ١٢ ولو ١١ : ٤) .

الفـكر :

واننى أعتقد أن من يصلى بالطريقة اللائقة ، أو وهو فى أفضل حالاته الروحية ، لا بد له أن يستفيد من صلاته بطرق مختلفة . وأول امتيازات الصلاة التى ينتفع بها الانسان ، هو احساسه حين يجمع ذهنه للصلاة . مجرد الميل أو الاتجاه للصلاة يكشف عن حقيقة الشخص الذى يضع نفسه أمام الله ، ويتحدث اليه مؤمنا بأنه موجود أمامه ، مقتنعا أنه فى حضرته تعالى وعينه عليه . ولما كانت بعض الصور الذهنية وذكريات الأشياء التى قد تتوارد على العقل قد تفسد القلب الذى تملأه مثل هذه الخيالات ، نستطيع أن ندرك هذا الامتياز عندما ينحصر الذهن ويرتفع القلب الى الله الذى نؤمن به ، ونؤمن أنه يطلع على أدق حركات النفس وسرائرها . فالنفس تضع ذاتها بالارادة لكى ترضيه باعتباره حاضرا وناظرا اليها وعارفا — علما سابقا — بكل ما يدور فيها من الأفكار ، فاحصا للقلوب والكلى (مز ٧ : ١٠). حتى لو تصورنا أنه لا توجد أية ميزة أخرى يجنيها الانسان اذا هيأ عقله

للصلاة ، فلا مراء أن فى اعداد نفسه فى وقت الصلاة ، انما يحصل على منفعة لا يمكن تجاهلها أو التغاضى عنها . والذين يسكبون أنفسهم دائما فى الصلاة يعلمون — بالخبرة والتجربة — أن فى ممارستهم المستمرة للصلاة يتجنبون الكثير من الخطايا ، وفى نفس الوقت تقودهم الصلاة الى اداء الكثير من الأعمال الصالحة . واذا كان مجرد تذكر أو تصور رجل عظيم مشهود له بالحكمة يدفعنا الى الرغبة فى محاكاته ، كما يكبح أيضا جماح النفس فيردها عن ارتكاب فعل الشر ، فكم وكم يكون الأمر حين نتذكر الله الآب ، والى أى مدى ينتفع الذين يصلون اليه وهم يتمثلونه مام عيونهم ، واثقين تماما أنهم فى حضرته ، وفى يقين كامل يتحدثون اليه وهو معهم يسمع لهم ؟ !

نقاوة القلب :

والكتاب المقدس يؤكد هذه الحقائق ، اذ يطالب المؤمن حين يصلى أن يرفع أيادى طاهرة ، تتطهر بالصفح عن ذنوب كل من أساء اليه ، وأن يصرف روح الغضب عن نفسه فلا يحمل فى نفسه حقدا على أحد (اتى ٢ : ٨ ومت ٦ : ١٢ و١٤ ومت ١٨ : ٢١ ومر ١١ : ٢٥ ولو ١١ : ٤) ولكى لا يقلق الانسان عقله بأى شىء آخر ، يجب عليه — اثناء الصلاة — أن يطرح بعيدا عنه كل الخواطر الأخرى . أليس هذا فى حد ذاته من أسعد الحالات التى يمكن أن يصل اليها الانسان ؟ ! والرسول بولس يعلمنا هذا أيضا فى رسالته الأولى الى تيموثاوس : فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال (١ تى ٢ : ٨) .

وكذلك المراة عندما تصلى ، يجب أن تتزين بروح الاتضاع وألا تكتفى بزينة الجسد بل تهتم بزينة الروح عندما تتقدم للصلاة فتقدم الاجلال والاحترام اللائقين بالله . وذلك يتم بأن تقصى عن ذهنها كل تصور أو فكر نسائى جامح ، وتزين نفسها لا بضفائر الشعر أو الذهب أو اللالىء أو الملابس الكثيرة الثمن بل — كما يليق بالمراة أن تزين نفسها بما يظهر تقواها وصلاحها (١ تى ٢ : ٩) انى أعجب من انسان يساوره الشك فى أن المراة حين تعد نفسها على هذه الصورة تغمرها سعادة حافلة ، حتى وهى فى حالة الاستعداد نفسها . وهذا ما يردده معلمنا بولس فى نفس الرسالة : وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لالىء أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة (١ تى ٢ : ٩و١٠) .

سمو الروح :

ويحدثنا داود النبى عن بركات الصلاة التى يتمتع بها رجل الصلاة . ويحسن بنا أن نستعرضها معا حتى نرى فى وضوح تلك الامتيازات الثمينة . النبى : اليك رفعت عينى يا ساكن السماء (مز ١٢٢ : ١) اليك يارب أرفع

للتمتع بجو الصلاة ، وتحضنا على التأهب لها حتى نقدم ذواتنا لله . يقول النبى : اليك رفعت عينى يا ساكن السماء (مز ١٢٢ : ١ اليك يا رب ارفع نفسى (مز ٢٤ : ١) وهو بذلك يكشف لنا عن عمل العيون الروحية التى ترتفع عندما تكف عن التجوال فى أمور العالم ، وتتوقف عن الامتلاء بصور الأشياء المادية ، فترتقى وتتسامى على جميع الخلائق والمصنوعات . ينحصر تفكيرها فى الله وحده ، الذى يستمع لها واليه تتحدث فى وقار كما يليق . حقا ان هذه العيون تتمتع الى أقصى درجات اللذة : ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف نتغير الى تلك الصورة عينها من مجد الى مجد (٢ كو ٣ : ١٨) ثم نشترك بعد ذلك فى ثر ذلك العنصر العقلى الالهى ونأخذ لأنفسنا نصيبا فيه ، كما يشير الكتاب الى ذلك : نور وجهك يارب أشرق علينا (مز ٤ : ٧) فالنفس التى ترتفع وتسلك فى طريق الروح ، المستقل عن الجسد ، لا يكفيها أن ترتقى مدارج الروح بل تحيا فى الله . وهذا يتضح من قول النبى : اليك يا رب ارفع نفسى مز ٢٤ : ١ فالنفس المرتفعة لم تعد نفسا جسدانية بل أصبحت روحية ، ليست مادية ، بل ولا صلة لها بالمادة .

وغفران الخطايا من الفضائل التى تحيا فى ربوع الصلاة وتقترن بها . ومما يدل على سمو مكانة هذه الفضيلة ما قاله أرميا النبى وهو يلخص الناموس كله فى هذه الكلمات : لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم اخرجتهم من أرض مصر ، بل انما أوصيتهم بهذا الأمر الا يفكر احد منكم شرا على أخيه فى قلبكم (أر ٧ : ٢٢ و٢٣ وزك ٧ : ١٠) واذ نتمم هذه الوصية انما نطرح تذكار الشر — الملبس الموت — وراء ظهورنا . وعندما نتقدم للصلاة نضع نصب أعيننا وصية المخلص فى هذا الصدد : ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شىء (مر ١١ : ٢٥) هل هناك شك اذا من جهة المنفعة التى تجنيها النفس من وراء الاستعداد للصلاة على هذه الصورة المقدسة.

بلا شك ولا تذمر :

وقد قلنا كل هذا للدلالة على الثمار الغنية التى يمكنا أن نحصل عليها من مجرد ادراكنا لكيفية الصلاة واعداد أنفسنا لهذا الموقف العظيم ، هذا رغم التسليم جدلا بقول المقاومين من أن الصلاة لا فائدة من ورائها . فمن الواضح أن المؤمن حين يصلى بهذه الروح ففى أثناء صلاته وتأمله فى قوة الله الذى يسمعه ، يستطيع أن يحس همس الصوت الالهى . ومن الطبيعى ان يلقى عنه أى تبرم فيما يختص بالتدبير الالهى ، قبل أن يرفع قلبه بالصلاة . وهذا يتضح من النص : اذا نزعت منطقتك من وسطك ، وكففت عن أن تمد اصبعك وتنطق بكلمة تذمر (اش ٥٨ : ٩) لأن الذى يفيض قلبه بالرضى — رغم ما يحيط به من أحداث — انما هو حر من هذه السلسلة (المنطقة) ولا يمد اصبعه الى الله الذى يدبر ما يشاء من أجل تدريبنا ، بل لعله لا يتذمر بسبب ضيقاته حتى سرا حين لا يسمعه أحد . لأنه كما ينتقد العبيد

الأشرار أوامر سادتهم — مع ملاحظة أن هذا المنفذ لا يكون جهرا — كذلك يفعل الساخطون المتبرمون وبالحرى الذين يضمرون السخط دون الجهر به، لأنهم لا يجرءون على اعلان تذمرهم ضد العناية الالهية على ما يحيط بهم من احداث وضيقات . وقد يظن هؤلاء أن شكاواهم لن تعرف لدى الله ، واعتقد أن هذا هو المقصود فى وصف أيوب : فى كل هذه الأمور التى حدثت له ، لم يخطىء أيوب بشفتيه الى الله (أى ٢ : ١٠) بينما يقول عنه فى التجربة التى سبقتها : فى كل هذه الأمور التى حدثت له لم يخطىء أيوب قدام الله (أى ١ : ٢٢) والكتاب يحذرنا من هذه السقطة فيطالبنا ألا نفسح للتذمر مكانا فى قلوبنا فيقول : احترس لئلا تسترق الى قلبك كلمة مخبوءة شيئا محرما ، ونقول أن السنة السابعة تقترب وهكذا (تث ١٥ : ٩) .

المسيح يصلى معنا :

عندما تصلى بهذه الروح ، وتحصل على مثل هذه البركات ، تصبح أكثر استحقاقا للاتحاد بروح الله الأزلى الذى يملأ الكل ، ثم تمارس حياة الشركة والاتحاد مع ذاك الذى يملأ كل السموات والأرض ، الذى أعلن هذا على فم النبى : ألست أملأ والأرض ؟ يقول الرب (أر ٢٣ : ٢٤) وبالاضافة الى هذه الشركة ، فان المصلى بسبب التقديس والتطهير — كما ذكرنا — يحصل على امتياز الاشتراك فى صلاة « كلمة الله » الذى يقف فى الوسط ، حتى وسط الجماعة التى لا تشعر بصلاته (يو ١ : ٢٦) . ومع انه فى غير حاجة الى الصلاة ، الا انه يصلى الى الأب مع كل الذين صار هو وسيطا لهم ، لأن ابن الله هو رئيس الكهنة (١) الذين يرفع قرابيننا ، ويشفع فينا ويدافع عنا لدى الله الأب (٢) . مصليا عن المصلين وضارعا مع الطالبين، ولا يمكن أن يصلى عنا كأصدقاء حين لا نثابر على الصلاة بوساطته ، ولا يدافع امام الله عن المؤمنين به اذا لم نسلك فى طاعته مصلين كل حين بلا فتور . فقد علمنا فى الانجيل مثلا انه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل وضرب لنا مثل القاضى (لو ١٨ : ١) وهكذا وقبل هذا قال : ثم قال لهم من منكم يكون له صديق ويمضى اليه نصف الليل ويقول له يا صديقى اقرضنى ثلاثة ارغفة لأن صديقا لى جاء من سفر وليس لى ما أقدم له (لو ١١ : ٥و٦) ثم يختم هذا المثال بقوله : أقول لكم وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فانه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج (لو ١١ : ٨) وكل من يؤمن بالمسيح . يؤمن أن كلمته لا تسقط أبدا ، وأنه حق ويقين وعده الصادق الأمين : اسألوا تعطوا .. لأن كل من يسأل يأخذ (٣) فمن يسمع هذه الوعود الأمينة ثم

---

(١) عب ٢ : ١٧ و٣ : ١ و٤ : ١٤ و٥ : ١٠ و٦ : ٢٠ و٧ : ٢٦ و٨ : ١ و٩ :: ١١ و١٠ : ١٠ .

(٢) يو ١٤ : ١٦ و٢٦ — ١٥ : ٢٦ — ١٦ : ٧ .

(٣) مت ٧ : ٧ ولو ١١ : ٩ .

لا يتجه الى الصلاة دون تردد . فاذا ما سألنا الأب فهو يعطينا الخبز الحى وليس الحجر الذى قدمه عدو الخير طعاما ليسوع (٤) وتلاميذه . يعطينا الأب لأننا أخذنا منه روح التبنى (٥) ، فالأب يعطى العطايا الصالحة ، ويمطر من السماء على الذين يسألونه (٦) .

الملائكة والقديسون يصلون معنا :

ان الذين يرفعون لله صلاة صادقة ، لا يصلى معهم رئيس الكهنة فقط ، بل كذلك الملائكة الذين يفرحون فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسع وتسعين بارا لا يحتاجون الى توبة (٧) وكذلك تشترك فى الصلاة أرواح القديسين الذين انتقلوا الى هناك .

وهذا يتضح لنا من قصة رافائيل الذى رفع ذبيحة عقلية الى الله من أجل طوبيا وسارة (٨) ان الكتاب المقدس يقول أنهما بعد أن صليا سمعت صلواتهما أمام نظر مجد العظيم رافائيل فأرسله الرب لكى يشفيهما (٩) ولكن رافائيل نفسه ، وهو يكشف لهما الارسالية التى عهد بها اليه كملاك من قبل الرب يقول : انك حين كنت تصلى الآن ، أنت وكنتك سارة ، كنت أنا أقدم تذكار صلاتك أمام القدوس (١٠) وبعد ذلك بقليل يقول أيضا : فانى أنا رافائيل أحد الملائكة السبعة الذين يحملون صلوات القديسين ويدخلون أمام مجد القدوس (١١) وهذا بدوره يفصح — كما يقول رافائيل — عن أن الصلاة عمل صالح مع الصوم والصدقات والعدل (١٢) .

وأمامنا أيضا قصة أرميا النبى حين ظهر للمكابيين فى صورة شيخ كريم الشيبة أعز البهاء (١٣) تحيط به الهيبة والجلال بشكل لم يألفه أحد من قبل ، واذا به يمد يمينه ويعطى يهوذا سيفا من ذهب (١٤) . وفى غضون هذه الرؤيا يشهد لأرميا النبى أحد القديسين ، وكان قد مات منذ زمن طويل ، فيقول : هذا هو الذى يصلى كثيرا من أجل الشعب ومن أجل كل المدينة المقدسة ، أرميا نبى الله (١٥) .

---

(٤) يو ٦ : ٣٣ و٣٥ و٤١ و٤٨ و٥١ — مت ٤ : ٣ — لو ٤ : ٣ .

(٥) رو ٨ : ١٥ (اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل اخذتم روح التبنى الذى به تصرخ يا أبا الأب) .

(٦) هنا ادمج أوريجانوس الآيات فى ٧ : ١١ (لو ١١ : ١٣) وخر ١٦ : ٤ .

(٧) لو ١٥ : ٧ وومت ١٨ : ١٣ .

(٨) طو ١٢ : ١٢ .

(٩) طو ٣ : ٢٤ — ٢٥ .

(١٠) طو ١٢ : ١٢ .

(١١) طو ١٢ : ١٥ .

(١٢) طو ١٢ : ٨ .

(١٣) ٢ مك ١٥ : ١٣ .

(١٤) ٢ مك ١٥ : ١٥ .

(١٥) ٢ مك ١٥ : ١٤ .

وحيث ن المعرفة تنكشف وتكتمل للقديسين : الآن فى مرآة فى لغز ولكن حينئذ وجها لوجه (١٦) ، فليس من الحكمة أو التعقل أن نقصر التشبيه فلا تنسحب المشابهة والمطابقة على الفضائل الأخرى . فلا شك أن الفضائل التى نمارسها فى هذه الحياة لا بد أن تبلغ كما لها فى حياة الدهر الآتى . واعظم هذه الفضائل ــ طبقا لكلمة الله ــ هى محبة الانسان لقريبه (١٧) . ولا بد لنا أن نوقن أن القديسين المنتقلين تلتهب فيهم هذه المحبة بدرجة اعلى واعمق بكثير عن اخوتهم الذين ما زالوا تحت الضعف البشرى . وقد شغلت قلوب القديسين بالاشتراك فى الجاهد مع اخوتهم الأضعف لأنهم يفيضون حبا نحو اخوتهم المجاهدين على وجه الأرض . ويعبر الكتاب المقدس عن هذه الشركة بقوله : فان كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وان كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه (١٨) وهذا القول لا ينطبق فقط على من يحيون بعضهم بعضا على الأرض بل يمكنا بحق أن نقول هذه الآية عن حب الاخوة ، واهتمامهم يصل الى جميع الكنائس : من يضعف وأنا لا أضعف ، من يعثر وأنا لا التهب (١٩) والمسيح مخلصنا نفسه سبق فوضع هذا المبدأ فهو يقول انه مريض مع المرضى وهو كذلك السجين والعريان والغريب والجائع والعطشان (٢٠) وكل الذين يؤمنون بالانجيل أو قراوه يعرفون أن المسيح وهو ينسب الى نفسه كل ما يحل بالمؤمنين انما يأخذ على عاتقه كل آلامهم .

واذا كات ملائكة الله قد أتت ليسوع وأخذت تخدمه (٢١) واذا كان من غير المعقول أن تقتصر خدمة الملائكة للمسيح على زمان اقامته بالجسد بين البشر ، وهو فى وسط المؤمنين ليس كمن يتكىء بل كمن يخدم (٢٢) ، فتصور معى خدمة الملائكة للمسيح الذى يريد أن يجمع معه أبناء اسرائيل واحدا واحدا ، وعندما يضم الذين فى الشتات ، وينقذ الذين يئنون من الخوف ويدعونه (٢٣) . أما يساهم الملائكة أكثر من الرسل فى نمو الكنيسة وازديادها حتى أن القديس يوحنا يقول فى سفر الرؤيا أن هناك ملائكة معينون لرعاية الكنائس (٢٤) . وهكذا ندرك أنه ليس عبثا أن تصعد ملائكة الله وتنزل على ابن الانسان ، كما تراها العيون التى استضاءت بنور المعرفة (٢٥) .

---

(١٦) ١ كو ١٣ : ١٢ .
(١٧) مت ٥ : ٤٣ وما بعدها ولو ٦ : ٣٥ و١٠ : ٢٧ .
(١٨) ١ كو ١٢ : ٢٦ .
(١٩) ٢ كو ١١ : ٢٨ و٢٩ .
(٢٠) مت ٢٥ : ٣٥ ــ ٤٠ .
(٢١) مت ٤ : ١١ .
(٢٢) لو ٢٢ : ٢٧ .
(٢٣) أش ٢٧ : ١٢ ويو ١٠ : ١٦ و١١ : ٥٢ ــ أع ٢ : ٢١ ــ رو ١٠ : ١٢ .
(٢٤) رؤ ١ : ٢٠ و٢ : ١ و٨ و١٢ و١٨ ــ رؤ ٣ : ١ و٧ و١٤ .
(٢٥) يو ١ : ٥١ .

وفى أثناء الصلاة نفسها يذكر المصلى هؤلاء الملائكة باحتياجاته ، حتى يعملوا فى خدمته على قدر طاقتهم فى نطاق الوصية العامة التى تلقوها من الرب . وقد تدور فى أذهاننا رغبة أن ندرك على وجه التحقيق أن طلباتنا قد صارت معروفة ومفهومة . ولهذا لا أجد بأسا فى عرض بعض النماذج التى تشرح لنا هذه الحقيقة : افرض أن طبيبا ما من الأطباء المقتدرين الأمناء فى عملهم ، يعتنى بانسان مريض بينما يصلى هذا المريض الى الله لكى يسترد صحته. الطبيب يعرف تماما علة المريض، كما يعرف الدواء الناجح الذى يبرئه من مرضه وهنا يأتى عمل الصلاة يتحرك قلب الطبيب لخدمة مريضه المصلى حتى ينال الشفاء ، فيعترف — بحق — أن هذه هى مشيئة الله الصالحة اذ سمع صلاته حين كان يطلب معافاته من المرض .

ولنأخذ مثلا آخر . انسان أغدق الله عليه عطاياه حتى زادت جدا عن احتياجاته . واذا به ينصت الى دعاء الفقير والمسكين ويستجيب لهما بسخاء، بينما صلاة الفقير والمسكين ترتفع أصلا الى الله . اذا فاستجابة الرجل لالتماس الفقير امنا هى طاعة لارادة الله . ففى وقت الصلاة ، يجمع الأب السماوى بين الاثنين الأول يصلى ويطلب والثانى ينفعل بالنعمة ويعطى الطلبة ولا يستطيع ن يتغافل عن احتياجات الأول بسبب مراحم الله ورافاته.

ولهذا فلا يجب علينا — اذا ما حدثت مثل هذه المواقف — أن نظنها من قبيل الصدف البحتة . لأن الله الذى يحصى كل شعور رءوس (٢٦) قديسيه . يجمع كلاهما معا فى توافق وانسجام أثناء الصلاة . الواحد يستطيع أن يقدم خدمة ما ، وتتوفر لديه الأذن الصاغية والمحبة لمن يلتمس فيه هذا الكرم والسخاء ، والآخر يرفع طلبته ويصلى من كل قلبه .

وعلى هذا القياس ، نستدل أن الملائكة ، الوقوف قدام الله ، الذى يرونه ويخدمونه لا بد أن يحضروا دعاء المصلى ويشتركوا معه فى الدعاء والالتماس والرجاء . ولا ينبغى أن تغيب عنا هذه الحقيقة ، أن ملاك كل واحد حتى الأطفال الصغار فى الكنيسة، يقف دائما ويرى وجه الآب الذى فى السموات(٢٧) ويعاينون مجد الله خالقنا ، يصلون معنا ويتعاونون الى أقصى ما يمكن فى كل ما نحتاج اليه .

صلوا بلا انقطاع :

وأكثر من ذلك فانى أعتقد أن كلمات المؤمن أثناء الصلاة تكون مشحونة بقوة عظيمة ، خصوصا وهو يصلى بالروح والذهن (٢٨) فالصلاة — فى هذه الحالة — تشبه النور الذى يصدر عن العقل ويخرج من الفم ، ولهذا يتطهر

---

(٢٦) مت ١٠ : ٣٠ ولو ١٢ : ٧ .

(٢٧) مت ١٨ : ١٠ . (٢٨) ١ كو ١٤ : ١٥ .

بقوة الله ويتحرر من السم العقلى الذى يدسه العدو . ولا ينجح العدو فى تسلله الى العقل الا مع المتكاسلين فى الصلاة. فهم يغفلون الصلاة الدائمة(٢٩) التى يحضنا عليها بولس الرسول مترسما خطى معلمنا الصالح . لأن الصلاة التى تنبع من روح المصلى ما هى الا حربة حادة النصل تصقلها المعرفة والعقل والايمان ، فتصرع الأرواح الشريرة ، وتهلك قوات العدو الشيطان، التى تسعى لايقاعنا فى شراك الخطية (٣٠) .

والذى يمارس الصلاة الدائمة هو الذى يربط الصلاة بالأعمال ، التى يتعين عليه أداؤها ، كما يربط الأعمال الصالحة بالصلاة . فالأعمال الفاضلة، وانجاز ما يوكل الينا من أعمال يشكل جزءا لا ينفصل عن الصلاة . وبهذه الطريقة وحدها يمكنا أن ندرك المعنى العميق الذى تنطوى عليه الوصية الالهية : صلوا بلا اقطاع . هذا اذا أردنا أن نستوعبها كوصية يمكن تنفيذها، لأنه يترتب على هذا المضمون أن حياة المؤمن لا تخرج عن كونها صلاة عظيمة متصلة ، وأن ما نطلق عليه كلمة « الصلاة » اصطلاحا ، ما هو فى حقيقة الأمر الا جزء من هذه الصلاة . وهكذا ندرك أن ما نمارسه ثلاث مرات على الأقل كل يوم ، ما هو الا صلاة جزئية وليست كل الصلاة !

ومن حياة دانيال نعرف أنه كان يصلى ثلاث مرات فى اليوم مادام الخطر يتهدده (٣١) ، ومعلمنا بطرس صعد الى السطح ليصلى نحو الساعة السادسة .. فراى اناء نازلا من السماء .. مربوطة بأربعة أطراف (٣٢) وهذه تشير الى الصلاة الثانية التى أشار اليها داود ضمن الصلوات الثلاث ، فقال : فى الصباح تسمع صلاتى ، بالغداة أقف أمامك وترانى (٣٣) كما يقول عن الصلاة الثالثة : رفع يدى كذبيحة مسائية (٣٤) . ولا يمكننا أن نقضى فترة الليل بكمالها كما ينبغى دون أن نردد كلمات داود : فى نصف الليل نهضت لأسبحك على أحكام عدلك (٣٥) كما نقرأ فى سفر الأعمال عن معلمنا بولس فى فيلبى انه كان يصلى مع سيلا فى منتصف الليل وهما يسبحان الله حتى سمعهم كل الذين كانوا فى السجن (٣٦) .

---

(٢٩) ١ تس ٥ : ١٧ ولو ١٨ : ١ . (٣٠) مز ٦٣ : ٤ وما بعدها وأم ٥ : ٢٢ .
(٣١) دا ٦ : ١٣ لدراسة فكرة الحياة كصلاة دائمة (انظر العلامة اكليمضس الاسكندرى وأوريجانوس فى تفسير مت ١٦ : ٢٢ ، ويستعرض أوريجانوس هنا ثانى صلوات اليوم (الساعة السادسة) والثالثة (المساء) وهما الصلاتان اللتان تسبقان الصلاة الأولى (نصف الليل) مز ٥٤ : ١٨ .
(٣٢) أع ١٠ : ٩ — ١١ .
(٣٣) مز ٥ : ٤ .
(٣٤) مز ١٤٠ : ٢ .
(٣٥) مز ١١٨ : ٦٢ .
(٣٦) أع ١٦ : ٢٥ .

الفصل الرابع

صلوات مقبولة

والمسيح يصلى ، وهو لا يصلى عبثا كما قد يظن البعض لانه ينال كل ما يطلب، بل هكذا كان ينبغى للابن وهو فى الجسد أن يقدم الصلاة للاب . فاذا كان المسيح نفسه يصلى ، فمن منا — بعد ذلك — لا يبالى بالصلاة ؟ معلمنا مرقس يقول : وفى الصباح باكرا جدا قام وخرج ومضى الى موضع خلاء وكان يصلى هناك (١) . وفى انجيل القديس لوقا : واذ كان يصلى فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه (٢) وفى موضع آخر : وقضى الليل كله فى الصلاة (٣) . ويسجل لنا معلمنا يوحنا احدى صلوات المخلص فيقول : تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا (٤) ويقول فى نفس الانجيل : وانا علمت انك فى كل حين تسمع لى (٥) مما يكشف لنا بوضوح أن من يصلى دائما فصلاته أيضا مستجابة دائما .

ولن نستطيع هنا أن نستعيد كل النماذج التى يقدمها لنا الكتاب للذين قدموا صلواتهم كما ينبغى فنالوا الكثير والعظيم من احسانات الرب . ولكل واحد أن يختار لنفسه الكثير من هذه الأمثلة . بالصلاة حنة نالت صموئيل الذى اقترن اسمه باسم موسى النبى (٦) لأنها كانت عاقرا ثم صلت الى الرب بايمان (٧) . وحزقيا الذى كان لا يزال بلا نسل ، صلى حين عرف من اشعياء النبى أنه سيموت ، ثم أدرج فى سلسلة انساب المخلص (٧) . وصدر أمر رهيب بسبب مكائد هامان ومؤامراته ، وصار الشعب على وشك الابادة لولا أن ارتفعت أصوام وصلوات استير ومردخاى فسمعت أمام عرش الله وقبلت ثم أدت الى اضافة احتفالات مردخاى الى الأعياد التى نص عليها موسى . وهناك أيضا يهوديت التى قدمت صلواتها المقدسة وقضت

---

(١) مر ١ : ٣٥ .
(٢) لو ١١ : ١ .
(٣) لو ٦ : ١٢ .
(٤) يو ١٧ : ١ .
(٥) يو ١١ : ٤٢ .
(٦) أر ١٥ : ١ ومز ٩٨ : ٦ .
(٧) ١ مل ١ : ٩ وما بعدها ، ١ مل ٢٠ : ١ وما يليها ومت ١ : ٩ .

على اليفانا بفضل معونة الله ، وبذلك استطاعت امراة واحدة من العبرانيين أن تصم بيت نبوخذ نصر بالخزى والعار (٨) . ونقرأ كذلك عن حنانيا وعزارياس وميصائيل الذين استحقوا أن تستجاب صلواتهم فتحميهم هبات الريح محملة بالندى من سعير النار ، وتمنع لهيبها من أن يكون له اى أثر عليهم (٩) . والأسود فى جب البابليين استطاعت صلوات دانيال أن تلجمها وتكمها (١٠) ويونان أيضا لم ييأس من أن يسمعه الله . فصلى من بطن الحوت الذى ابتلعه وبذلك نجا من بطن الحوت ، ووفى ما تبقى من كرازته النبوية لرجال نينوى (١١) .

واذا أردنا أن نذكر بالحمد تلك الاحسانات التى صنعها الرب معنا لكى نشكره عليها ، فان كلا منا لن يقوى على وضعها تحت حصر ، لأن أعمال بره ورأفاته أكثر من أن يتناولها العد والاحصاء . والأرواح التى طال عليها الزمن فى جدب بلا ثمر ، عندما تحققت ما تعانيه أذهانها من جفاف وما حل بأفهامها من عقم ، جاهدت بالصلوات المتواترة حتى استطاعت أن تمتلىء بالروح القدس وأثمرت فيها كلمات الخلاص المفعمة بالمعرفة الحقيقية . ولما كان من المحتم علينا أن نواجه العدو الذى يريد ان يجردنا من ايماننا المقدس، فلا بد لنا أن نستمد شجاعتنا من هذا الايمان ونستطيع بفعل الصلاة أن نجندل قوات الخصم العنيد . قد يضع البشر ثقتهم فى معدات القتال الأرضية البعض يتكل على عرباته والبعض الآخر على خيله أما نحن فباسم الرب الهنا ندعو (١٢) لأننا نعلم أن من الباطل أن نتكل على الفرس للخلاص (١٣) .

وفى اغلب الأحيان ، يستطيع المؤمن أن يشتت اعظم قوات العدو وجبروته بفضل ايمانه الذى تعبر الصلاة عنه فى الشكر والتسبيح . وعلى العكس قد نجد أن المناقشة والفهم الخادع الذى يبدو مستحبا ومقبولا انما يؤديان الى الضعف وخور العزيمة حتى بين المؤمنين . ان اسم يهوديت يعبر عن احساسات قلبها فان هذا اسم اذا ترجم يعنى الثناء . ولا حاجة بى أن أعدد لكم أبطال الايمان الذين اعترتهم تجارب تفوق طاقتهم ، بل ولعلها اكثر احراقا من أى لهيب ، ومع ذلك لم يصبهم منها ضر ولا أذى ؟ ! لقد جازوها جميعا دون أن تمسسهم النار بأى أذى ، ودون أن تلفحهم حتى رائحة النار (١٤) . كم من الحيوانات المتوحشة والضوارى الكاسرة ثارت وهاجت ضدنا — سواء من الأشرار او من الأرواح النجسة — فواجهناها بقوة الصلاة فكبحنا جماحها

---

(٨) يهوديت ١٣ : ٤ وما بعدها .
(٩) دا ٣ : ٢٤ و ٥٠ .
(١٠) دا ٦ : ١٨ .
(١١) يون ٢ : ٣ وما بعدها .
(١٢) مز ١٩ : ٨ .
(١٣) مز ٣٢ : ١٧ .
(١٤) دا ٣ : ٤٩ و٩٤ (الأسفار المحذوفة) .

حتى لم تعد لديها القدرة أن تنشب انيابها فى الأخوة الذين يعيشون بيننا أعضاء فى المسيح (١٥) . ففى كل قصة من قصص القديسين ، نستبين كيف هشم الله أسنان الأسود وصارت هادئة كالماء المنساب (١٦) كما نقرأ فى أمثلة أخرى عن بعض الذين ضعفوا وهربوا من وصايا الله ، عندما دفعوا الى الموت الذى شدد قبضته عليهم ، ومع هذا نجوا من هذا المصير المرعب بالتوبة والندم . فهم لم ييأسوا من امكانية خلاصهم حتى وان القوا فى هوة الموت (١٧) اذا ابتلعهم فى سطوته وقوته ولكن السيد الرب مسح كل دمعة من دموعهم (١٨) .

عندما عددت أسماء الذين استفادوا من الصلاة ، فلم يكن ذلك الا مجرد سرد للحقائق المقررة والمبادىء الثابتة . ولكن اتجه الآن الى الساعين الى حياة الروح فى المسيح ، لكى لا يطلبوا فى صلواتهم الأمور الأرضية العديمة القيمة ، ولكنى أسعى سعيا حثيثا أن أدعو الأخوة الى الدخول الى اسرار الروح التى ضربت لها هذه الأمثلة حتى يحتذوا بها ويتمثلوها فى صلواتهم . فالصلاة التى ترفعها الى السماء وتلتمس فيها عطايا الروح واسراره لا تستطيع أن تقدمها وأنت تحارب حسب الجسد (١٩) وانما تحصل على هذه القدرة اذا كنت بالروح تقتل أعمال الجسد (٢٠) ، فالمواهب التى تصدر عن الفهم الروحى والحكمة الروحية لا تعادلها أى عطية مما قد يبدو أنك تناله نتيجة لصلاتك حسب الحرف (٢١) .

---

(١٥) ١ كو ٦ : ١١ ودا ٦ : ٢٢ .
(١٦) مز ٥٧ : ٧ وما بعدها .
(١٧) يون ٢ : ١ وما بعدها .
(١٨) أش ٢٥ : ٨ .
(١٩) ٢ كو ١٠ : ٣ .
(٢٠) رو ٨ : ١٣ .

(٢١) يقصد أوريجانوس بهذا ، التفسير الروحى للكتاب المقدس ، وهو يستخدم الكثير من الاصطلاحات للدلالة على هذا المعنى وهو يرى أن نصوص الكتاب المقدس يمكن تفسيرها على ثلاثة وجوه :

(أ) المعنى الرمزى Allegoric ولعل اوريجانوس يعتبر من أساتذة هذه المدرسة فى التفسير ، التى نجد آثارها بادية فى كتابات آباء القرون الأولى الذين تتلمذوا على يديه أو على كتاباته .

(ب) التفسير الأدبى أو الأخلاقى وهذا يستخلص المعنى الأدبى من كل نص من نصوص الكتاب : Tropologic That interpretation of Scripture which reads moral meaning : into any and every passage.

(جـ) التفسير الروحى The mystical interpretation or hidden sense of words = anagogic.

أى الكشف عن المعنى الباطنى او السرى الذى تتضمنه الكلمات .

ويرى البعض أنه يقسم التفسير الى رمزى وروحى فقط . الا أن هذه

ولذلك فجدير بنا أن نتجنب الجفاف والعقم بأن نتعهد أنفسنا بالتدريب حتى اذا ما صرنا روحيين ، تنفتح آذاننا لقانون الروح ، وحينئذ يستجيب لنا الرب ونخلص من العقم والجفاف كما أنعم على حنة وحزقيا (٢٢) ، وننجو من شرور أعداءنا الروحيين كما حدث مع مردخاى واستير ويهوديت .

ولما كانت مصر تشير رمزيا الى مكان عالمى ، فقد وصفها الكتاب بأنها فرن من حديد (٢٣) وكل من يهرب من شرور الحياة البشرية ، ولا يحترق بالاثم ، ولا يلتهب قلبه بنار الأتون ، لا بد له أن يقدم الشكر الجزيل الى الله ، لأنه لا يقل عن المجربين فى أتون الندى اذ جعل الملاك وسط الأتون كهبوب ريح مثلة بالندى (دا ٣ : ٥٠) ومن يصلى قائلا : لا تسلم للوحوش نفس المعترف لك (٢٤) تسمع صلاته وتستجاب ولا يصيبه أذى الحيات والأفاعى لأنه تمكن بالمسيح أن يمشى وأن يطأ تحت قدميه الأسد والتنين (٢٥) اذ يستعين بالسلطان المجيد ، الذى يهبه المسيح للمؤمنين به ، لكى ندوس الحيات والعقارب وكل قوات العدو (٢٦) ولا يمكن أن يحل به سوء بسببها . مثل هذا الانسان لا يملك الا أن يفيض قلبه بالشكر والتسبيح ولعله — فى ذلك — يزيد على دانيال كثيرا لأنه تخلص من وحوش أكثر ضراوة واشد فتكا من أسود دانيال (٢٧) واذا ادرك القارىء — ما يشير اليه الحوت الذى ابتلع يونان ، وما يقصده ايوب حين قال : ليلعنها (أى الليلة التى حبل فيها بأيوب) من يلعن اليوم (الذى ولد فيه) ذاك الذى تهيأ لاخضاع التنين العظيم (٢٨) — لعلم أن شيئا من هذا ما كان ليحدث لو لم تكن هناك خطية ، فبدون المخالفة ما دخل يونان بطن الحوت (٢٩) وهكذ

المفهومات الثلاث تتمشى مع ما توحى به الينا مدلولات الجسد والنفس والروح . وتستعمل الكلمة اليونانية anagogy — وهى اصطلاح افلاطونى — يشير الى : الطريق الى أعلى أو السمو . وليس معنى هذا أن كل فقرة تحتمل أنواع التفسير الثلاث . فبعض النصوص لا تحتمل التأويل الحرفى اطلاقا ، والبعض الآخر — مثل الوصايا العشر — لها قيمتها الاخلاقية بحيث لا تسمح بالبحث عن معنى آخر . والتمايز بين هذين النوعين فى التفسير لا يوجد بينهما حد فاصل قاطع ، لأن هناك من النصوص ما تتداخل فيها الظلال ، واطياف رقيقة للغاية . الا أن هناك نصوص يمكن أن تتحدد فيها المفاهيم بطريقة قاطعة مما يبين لنا بالضبط ما يقصده أوريجانوس مثل حبة الخردل فهى تشير الى (أ) البذرة فعلا ، (ب) الايمان ، (ج) ملكوت السموات .

(٢٢) ١ صم ١ : ٢ وما بعدها و٢ مل ٢٠ : ١ وما بعدها واش ٣٨ : ١ وما بعدها ومت ١ : ٩ .
(٢٣) تث ٤ : ٢٠ وار ١١ : ٤ .
(٢٤) مز ٧٣ : ١٩ .
(٢٥) مز ٩٠ : ١٣ .
(٢٦) لو ١٠ : ١٩ .
(٢٧) دا ٦ : ١٨ .
(٢٨) أى ٣ : ٨ .
(٢٩) يون ٢ : ١ .

يوقن أنه لا خلاص ولا سلام له ان لم يتب عن شره ثم يتضرع حتى ينال الغفران . وعندما يخلص ويلازم قانون الطاعة لوصايا الله ، يتمكن — اذ ذاك — بصلاة الروح (٣٠) أن يتنبأ حتى لرجال نينوى الذين حكم عليهم بالهلاك ويصبح لهم سبب خلاص (٣١) اذا لم يتبرم بصلاح الله طالبا اليه الا يرجع عن حمو غضبه على الذين تابوا عن خطاياهم (٣٢) .

والمعجزة الكبرى التى قيل عن صموئيل انه حققها بالصلاة ، ما زال فى الامكان ممارستها وانجازها حتى الآن روحيا . بل ويستطيع أن يقوم بها اى شخص يتوفر لديه الايمان الصادق بالله مما يؤدى الى استجابة صلاته . لانه مكتوب : قفوا الآن وانظروا هذا الأمر العظيم الذى يعمله الرب أمام عيونكم . اليس اليوم هو حصاد القمح ؟ سأطلب الى الله فيرسل رعدا ومطرا (٣٣) وبعد ذلك بقليل يقول : وصرخ صموئيل الى السيد الرب وأرسل الرب رعدا ومطرا فى ذلك اليوم (٣٤) والرب يوجه خطابه الى كل قديسيه وتلاميذه الأمناء : ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول ، انها قد ابيضت للحصاد ، والحاصد يأخذ اجره ويجمع ثمرا للحياة الأبدية (٣٥) وفى وقت الحصاد هذا ، يعمل الرب عملا عظيما أمام اعين كل الذين يسمعون أنبياءه أما من يتزين بالروح القدس ، فمن يدعو الرب فان الله يعطيه من السماء رعدا ومطرا يسقى روحه العطشى ، فالذى كان قبلا يحيا فى الشر يسلك فى مخافة الله كما يخشى الخادم صلاح سيده ومحبته فيشعر فى قرارة نفسه بالتقوى والوقار بفضل النعمة التى فاضت عليه .

وفى قمة ايليا ، نرى السماء وقد أوصدت أبوابها فى وجوه المستهترين والمستبيحين ثلاث سنين وستة اشهر ، ثم انفتحت أخيرا بواسطة كلمة الرب (٣٦) هذه هى النعمة الغنية التى يمكن لكل انسان أن يحصل عليها ، اذ استقى من المطر الذى يفيض ريا على روحه بالصلاة ، بينما كانت الخطية فيما مضى تقف دونه حائلا يمنع هذه النعم والخيرات .

---

(٣٠) عن ٥ : ٢٢ .
(٣١) يون ٤ : ٢ .
(٣٢) رو ١١ : ٢٢ .
(٣٣) ١ صم ١٢ : ١٦ .
(٣٤) ١ صم ١٢ : ١٨ .
(٣٥) يو ٤ : ٣٥ وما بعدها .
(٣٦) ١ مل ١٧ و١٨ ويع ٥ : ١٧ وما بعدها ولو ٤ : ٢٥ .

الفصل الخامس

موضوع الصلاة

قد عرضنا — فيما سبق — عرضا يسيرا للفوائد التى عادت على القديسين بفضل ممارسة الصلاة ، ويمكنا الآن أن نتأمل قول الكتاب : اطلبوا الأمور العظيمة (ما فوق) أما الأشياء الصغيرة فتزاد لكم ، أو اطلبوا السماويات (ملكوت الله وبره) أما الأرضيات (وهذه كلها) تزاد لكم .

كل بر شكلى ورمزى انما هو صغير وأرضى اذا ما قورن بالصلاح الحقيقى والروحى . ولهذا تدعونا كلمة الله أن ننسج على منوال صلوات القديسين حتى نطلب ونلتمس النعم الحقيقية التى حصلوا عليها بطريقة رمزية ، كما تبين لنا بطريقة حاسمة أن السماويات والأمور العظيمة انما تبرز قيمتها وتمتاز اذا قيست بالأمور الأرضية الصغيرة . وكأنه يقول لنا بعبارة أخرى : اذا أردت أن تكون روحيا فأطلب فى صلواتك السماويات والأمور العظيمة . وعندما تتلقى عطايا السماء ترث ملكوت السموات باعتبارها العطية العظمى ، كما تتمتع بأعظم البركات . وفى نفس الوقت ، يعطيك الآب — بالقياس المناسب — الأشياء التى تحتاج اليها مما هو ارضى وصغير لأن أجسادكم تحتاج اليها (١) .

أنواع الصلاة :

عندما يتحدث معلمنا بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس فى رسالته الأولى عن الصلاة ، يستخدم أربعة ألفاظ وثيقة الصلة بموضوع الصلاة ، ولهذا يحسن بنا أن نأخذ هذا النص ونتأمله بتدقيق حتى نتفهمه فهما واعيا ونبلغ أغوار معانيه الدقيقة فندرك المقصود من كل لفظ من ألفاظه الأربع . يقول الرسول : أطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس .. الخ (٢) . وازاء هذا التقسيم أعتقد أن

---

(١) مر ٤ : ٢٤ ولو ٦ : ٣٨ .

(٢) ١ تى ٢ : ١ طلبات أو تضرعات Supplications وصلوات أى الاسترحام . Prayers, invocation والابتهالات أو الشفاعة intercessions والشكر thanks givings.

الطلبات هى الصلوات التى يقدمها الانسان ليعبر عن احتياجه الى شىء ما فيلتمس الحصول على هذا الشىء ، أما الصلوات فتقدم مشفوعة بالتسبيح لله لأن صاحبها يطلب ما يليق بالتقوى من الأمور السمائية العليا ، والابتهالات فهو التماس النعمة من الله ويقدمها الانسان بوازع من يقينه العميق فى مراحم الله الصادقة ، أما الشكر فهى الصلاة التى يلهج فيها الانسان بالنعم التى انسكبت عليه من الله ، سواء لأن الشاكر يعترف بقيمة العطية التى منحت له وعظمتها ، أو لأنه قد حصل عليها وأدرك قيمتها فيمجد الواهب العظيم .

الطلبـــة :

ومن امثلة الطلبات ما أشـــار اليه غبريال الملاك فى حديثه مع زكريا الكاهن ، مما يوحى بأن زكريا كان يطلب من أجل ميلاد يوحنا لأن الملاك يقول : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا (٣) . ومثال آخر نقراه فى سفر الخروج بعد أن ســقط الشعب فى عبادة العجل الذهبى (٤) ، فتضرع موسى أمام الرب الهه وقال : لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقـــوة عظيمة ثم يقول عن ذلك فى سفر التثنية : ثم (سقطت) قدمت طلبات أمام الرب كالأول أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا اشرب ماء من أجل كل خطاياكم التى أخطأتم بها (٤) . وفى المثال الذى يحدثنا عنه سفر استير ؛ نقرأ : فأما مردخاى فتضرع الى الرب متذكرا جميع اعماله وقال : اللهم أيها الرب الملك القادر على الكل .. (٥) وكذلك استير أيضا تضرعت الى الرب اله اسرائيل وقالت : أيها الرب الذى هو وحده ملكنا (٦) .

الصـــلاة :

وفيما يختص بهذا النوع الثانى ، انظر ما جاء فى سفر دانيال : ووقف عزريا وصلى هكذا وفتح فاه فى وسط النار وقال ... (٧) ومثال آخـــر نراه فى سفر طوبيا اذ يقول : وبدأت اصلى بدموع قائلا : عادل أنت أيها الرب وكل أعمالك مستقيمة وطرقك كلها رحمة وحق وأحكامك حق وعادلة الى الأبد (٨) وحيث ان النص الأول الذى اقتبسناه من سفر دانيال لا يقبله

---

(٣) لو ١ : ١٣ . (٤) خر ٣٢ : ١١ . (٤) تث ٩ : ١٤ .
(٥) اس ١٣ : ٨ (الأسفار المحذوفة) .
(٦) اس ١٤ : ٣ (الأسفار المحذوفة) .
(٧) دا ٣ : ٢٥ (الأسفار المحذوفة) . وتقع هذه الآية ضمن ص ٣ : ٢٤ — ٩٠ وهو الجزء المحذوف بين دا ٣ : ٢٣ ودا ٣ : ٢٤ فى الترجمة المتداولة (بيروت) . (٨) طو ٣ : ١ — ٢ .

البعض على أساس أنه غير موجود فى النص العبرى ، والذين من الختان يرفضون سفر طوبيا ولا يعتبرونه من الأسفار القانونية ، فسوف أنقل اليك النص التالى من سفر الملوك الأول (صموئيل الأول) : فصلت الى الرب وبكت بكاء ونذرت نذرا وقالت : يارب الجنود ان نظرت نظرا الى مذلة امتك .. (٩) الخ . وفى سفر حبقوق نقرأ صلاته التى كان ينشدها : يارب قد سمعت صوتك فجزعت . يارب تأملت فى أعمالك فتعجبت . وسط الحيوانين تعرف وعند اقتراب السنين تتميز (١٠) وهذا المثال يعطينا ايضاحا كافيا لهذا النوع من الصلاة من حيث أنها تقترن بتسبيح الله . ويؤيد هذا أيضا ما ورد فى سفر يونان : فصلى يونان الى الرب الهه من جوف الحوت وقال : دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى ، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى . لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحر فأحاط بى الغمر (١١) .

الابتهـــال :

أما عن النوع الثالث ، فالرسول وان كان ينسب الينا بحق ممارسة الصلاة ، فمن ناحية أخرى نجده يعزو الابتهال الى الروح القدس ، لأنه أكثر رفعة وسموا من الانسان بما لا يقاس ، ولأن لديه الثقة الوطيدة التى لا تنزع فى شخص الأب الذى يتقدم اليه . ولهذا يقول الرسول : لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يبتهل بقوة لأجلنا (يشفع فينا) بأنات لا ينطق بها (١٢) . ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح ، لأنه بحسب مشيئة الله يبتهل من أجل (يشفع فى) القديسين . فالروح اذا يسأل ويبتهل (يشفع) أما نحن فنصلى . ويبدو لى أن كلمات يشوع وهو يأمر الشمس بالوقوف فوق جبعون ، انما كانت صلاة ابتهال : حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بنى اسرائيل عندما كسرهم الرب فى جبعون فانكسروا أمام عيون بنى اسرائيل وقال يشوع : فلتقف الشمس فوق جبعون والقمر فوق وادى عيلوم (١٣) . وفى سفر القضاة أيضا قدم شمشون ابتهاله وشفاعته — فيما اعتقد — حين صرخ قائلا : لتمت نفسى مع الأجانب (الفلسطينيين) وانحنى بقوته فسقط البيت على الأقطاب والرؤساء وسائر الشعب الذى كان فيه (١٤) .

وحتى ان لم يذكر النص صراحة أن يشوع وشمشون تشفعا أو ابتهلا ،

---

(٩) ١ صم ١ : ١٠ وما بعدها .

(١٠) حب ٣ : ١ — ٢ صلاة لحبقوق النبى على الشجوبة : يارب قد سمعت خبر فجزعت . يارب عملك فى وسط السنين أحيه . فى وسط السنين عرف . فى الغضب اذكر رحمة .

(١١) يون ٢ : ١ — ٢ .

(١٢) رو ٨ : ٢٦ — ٢٧ .

(١٣) يش ١٠ : ١٢ .

(١٤) قض ١٦ : ٣٠ .

فيمكنا بسهولة أن نستخلص من النص ما يفيد ذلك . فالكلمات التى قالها كل منهما تدل على الابتهال ، وهذا يؤدى بنا بدوره الى التمييز بين الشفاعة والابتهال من جهة وبين الصلاة من جهة أخرى فمن الضرورى لنا أن نعطى مثل هذه العبارات تعريفها الصحيح ومدلولها الدقيق .

الشكر :

ومن أبرز الأمثلة على صلوات الشكر ما جاء على لسان السيد نفسه : اعترف لك أيها الآب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء واعلنتها للاطفال (١٥) وكلمة « اعترف » هنا تؤدى نفس المعنى الذى يقصد من تقديم الشكر .

ولعلنا لا نجانب الحق اذا توجهنا بالطلبة والابتهال والشكر للقديسين أيضا ، بل وفى كثير من الأحيان قد نقدم النوعين الأخيرين (الابتهال والشكر) لا للقديسين وحدهم بل كذلك نقدمهما لغيرهم من البشر . أما الطلبة فنقدمها للقديسين فقط اذا وجدنا بولس آخر أو بطرس آخر ، حتى يمدنا هذا القديس بمعونته فى جهادنا حتى نصبح جديرين بالحصول على النعمة والقوة التى منحت لهم مثل سلطان مغفرة الخطايا (١٦) . ومن ناحية أخرى فقد نخطىء فى حق انسان ما — حتى ولو لم يكن قديسا — فاذا أدركنا الأذى الذى حاق به من جراء ظلمنا له ، فقد نضرع اليه حتى يغفر لنا اساءتنا .

واذا كان من الحق أن نتقدم هكذا الى القديسين ، فكم بالأولى ينبغى أن نشكر المسيح مخلصنا الذى أسبغ علينا كل هذه العطايا والنعم بمشيئة الله الآب . وفى المسيح أيضا نستطيع أن نبتهل ونتشفع كما فعل اسطفانوس: يارب لا تقم لهم هذه الخطية (١٧) ، ونتمثل بصلاة ذلك الآب التوسلية الذى طلب من أجل ابنه المجنون : يا سيد اطلب اليك ارحم ابنى (١٨) او ارحمنى أنا او ارحم أى انسان آخر .

---

(١٥) مت ١١ : ٢٥ ولو ١٠ : ٢١ .
(١٦) مت ١٦ : ١٩ و١٨ : ١٨ .
(١٧) أع ٧ : ٦٠ .
(١٨) مت ١٧ : ١٤ ولو ٩ : ٣٨ .

الفصل السادس

بركات الصلاة

الصلاة للآب :

أما وقد أدركنا ماهية الصلاة ، فاننا ندرك بالتبعية أن الصلاة ينبغى ان تقدم لله أبى الكل كما فعل مخلصنا نفسه وكما أوصانا ، لأنه عندما قيل له : علمنا أن نصلى (١) يوجه نظرنا الى تقديم الصلاة للآب فنقول : أبانا الذى فى السموات (٢) . ومع هذا فيجب الا تقدم الصلاة للاب منفصلا عن رئيس الكهنة المعين منه بقسم (٣) كما قال الكتاب : أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن الى الأبد على طقس ملكى صادق (٤) .

فى المسيح :

فى طلبات الشكر التى رفعها الآباء القديسون قدموا اعترافهم فى المسيح يسوع . وهكذا يليق بالانسان الذى يريد أن يحافظ على طقس الصلاة صحيحا ، أن يقدم صلاته للاب القدوس فى المسيح أى باسمه وشفاعته . وقد أوضح لنا المخلص هذه الحقيقة بقوله : الحق الحق أقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم . الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى . اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا (٥) فهو لم يقل اطلبوا منى او اطلبوا من الآب بل أوضح لنا أن كل ما طلبتم من الآب فاياه يعطيكم باسمى . وحتى ذلك الوقت الذى نطق فيه يسوع بهذا النص لم يتقدم أحد الى الآب وصلى باسم الابن مما دعا الرب الى قوله : الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى ، وهو الصادق الأمين أيضا اذ يقول : اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا .

---

(١) لو ١١ : ١ .
(٢) مت ٦ : ٩ .
(٣) عب ٧ : ٢٠ وما بعدها .
(٤) عب ٧ : ٢١ ومز ١٠٩ : ٤ .
(٥) يو ١٦ : ٢٣ ــ ٢٤ .

السجود :

ولا ينبغى أن يختلط علينا معنى كملة السجود (٦) ، لأنها تدل على العبادة كما جاء فى النبوة التى قيلت عن المسيح : ولتسجد له كل ملائكة الله (٧) كما وردت بمعنى الطاعة والخضوع فى النبوة التى قيلت عن الكنيسة ويسميها النبى رمزيا أورشليم التى يأتى اليها ملوك الأرض وملكاتها فيسجدون لها ويخدمونها : ها أنى أرفع الى الأمم يدى والى الجزائر رايتى. فيأتون بأولادك فى الأحضان ، وبناتك على الأكتاف يحملن . ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك . بالوجوه الى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أنى أنا الرب ولا تخزين (٨) .

ينبغى اذا أن تصلى بوساطة رئيس كهنة العهد الجديد ، الشفيع القادر أن يرثى لضعفاتك اذ جرب فى كل شىء مثلك ولكن بلا خطية (٩) كما يجب أن تعلم أية عطية حصلت عليها من الآب اذ أخذتم روح التبنى ، ولدتم فى المسيح من جديد حتى تستحقوا أن تدعوا أولاد الله وتلقبوا باخوة المسيح (١٠) . ولعلك قرأت ما قاله الرب على فم داود النبى فى حديث موجه الى الآب : اخبر باسمك اخوتى . فى وسط الجماعة أسبحك (١١) ولذلك يجب أن نصلى الى الآب فى المسيح ومعه ، يجب أن نقدم صلواتنا اليه كاله ونلجأ اليه كأب ونتضرع اليه كسيد ورب ، ونقدم اليه الشكر فى هذه الاعتبارات جميعها . والعلاقة التى تربط الآب بنا ليست مجرد علاقة السيد لمجرد عبد ، فالاب يمكن أن يعتبر بحق من جهة ما كسيد لابنه ، وبالتالى سيد لكل الذين

---

(٦) كلمة السجود فى اليونانية تشير الى الانطراح أو السجود أمام الالهة أو صورهم كما تشير الى تلك العادة الشرقية القديمة فى السجود أمام الملوك . ويستخدم هذا التعبير فى النصوص الكنسية تعبيرا عن أسمى أشكال العبادة لله . وهناك أمثلة عديدة لاستخدام هذا اللفظ بهذا المعنى (أى العبادة لله) فى العهد الجديد مت ٤ : ١٠ ولو ٤ : ٢١ — ٢٣ والعبادة للآب فى ١ كو ١٤ : ٢٥ والعبادة للمسيح مت ٢ : ٢ ويو ٢ : ٢ ويو ٩ : ٣٨ .. الخ وفى التجربة على الجبل طلب الشيطان من المسيح السجود له بهذا المعنى مت ٤ : ٩ ولو ٤ : ٧ وعندما سخر الجنود من المسيح سجدوا أمامه ايضا (مر ١٥ : ١٩) ويستخدم أوريجانوس هذا التعبير عن المسيح من حيث هو فى الآب والآب فيه ، ومن حيث أنه واحد مع الاب فى اللاهوت وهذا ما يقصده خصوصا عندما يقول أن الصلاة تقدم الى الاب وحده ، لأن جوهر الآب هو نفس جوهر الابن .

(٧) تث ٣٢ : ٤٣ ومز ٩٧ : ٩ .

(٨) اش ٤٩ : ٢٢ — ٢٣ .

(٩) عب ٤ : ١٥ .

(١٠) رو ٨ : ١٤ و١٩ و٢٣ وغل ٤ : ٥ و١ بط ١ : ٣ .

(١١) مز ٢١ : ٢٢ .

صاروا ابناء له بالمسيح . وكما انه ليس اله اموات بل اله احياء (١٢) ، فعلى نفس القياس ليس هو سيدا لعبيد بلا كرامة ، بل سيد لعبيد قد عظم اصلهم وشرف محتدهم بعد ان كانوا اولا فى طفولتهم فى خوف (١٣) ثم تحولت عبوديتهم بالحب الى حالة من الغبطة تسمو بما لا يقاس على تلك العبودية وهم فى خوف (١٤) . هناك علامات فى الروح يتميز بها عبيد الله عن ابنائه ، وهذه العلامات تنكشف لفاحص القلوب (١٥) وحده .

العطايا الروحية والمادية :

قد يطلب المرء فى صلاته امورا ارضية وتافهة ، ولكنه — فى ذلك — يخالف وصية الرب الذى أمرنا ان نطلب منه السمائيات لأنه لا يمنح العطايا الأرضية الصغيرة (١٦) . وقد يحتج البعض بأن الله قد غمر القديسين بالعطايا المادية بسبب صلواتهم ، كما يستندون فى التدليل على ذلك الى كلمات الانجيل نفسه التى يستفاد منها ان الأمور الأرضية البسيطة تضاف الى ملكوت الله وبره ، ولهذا احب أن اوجه نظر هؤلاء الاخوة الى تعمق فهم هذه العطايا . اذا أعطانا انسان ما شيئا ماديا فلا يمكننا أن نقول أنه أعطانا ظل هذا الشىء ، كما لا يمكن لهذا الانسان أن يدعى انه أعطانا شيئين ، الشىء وظله . ولكنه يقر بأنه اعطانا هذا الشىء وانه كان يقصد أن يعطينا هذا الشىء بذاته . ومن هذا نعلم اننا اذا أخذنا هذا الشىء فلا بد أن يتبعه ظله . وعلى نفس القياس ، عندما نرفع أذهاننا ونتأمل العطايا الرئيسية التى يغمرنا الله بها فلا يسعنا الا الاعتراف بأن العطايا المادية التى محت للقديسين سواء للفائدة أو نتيجة لعمل الايمان أو طبقا لمشيئة الواهب (١٧) فما هذه العطايا الا ظلال تصاحب الهبات الروحية العظمى ، لأنه هكذا يشاء بحكمته حتى وان عجزت أذهاننا عن ادراك علة العطية وسببها الذى ادى بالواهب الى اعطائها .

وبالتالى يمكننا أن ندرك ان حنة قبل أن تحمل صموئيل (١٨) فى احشائها ماديا ، كانت روحها قد برئت من العقم فأثمرت روحيا ، وكذلك أنجب حزقيا أطفالا روحيين بالذهن والفهم أكثر من الذين ولدوا من صلب الجسد (١٩) . استير ومردخاى والشعب كله نجوا من العدو الشرير ومن المحاربات الروحية أكثر من خلاصهم من مكيدة هامان والضالعين معه فى المؤامرة (٢٠) .

---

(١٢) مت ٢٢ : ٣٢ .
(١٣) رو ٨ : ١٥ وغل ٤ : ١ و٣ و٦ .
(١٤) ١ يو ٤ : ١٨ وعب ٢ : ١٥ .
(١٥) رو ٨ : ٢٧ .
(١٦) رو ٢ : ٢ و١٧ و١٨ .
(١٧) رو ١٢ : ٦ و١ كو ١٢ : ١ و٤ و٧ و١١ .
(١٨) ١ صم ١ : ١٩ وما بعده .
(١٩) ٢ مل ٢٠ : ١٨ واش ٣٩ : ٧ .
(٢٠) أش ٦ و٧ .

واستطاعت يهوديت أن تقطع قوة أمير الظلام الذى أراد أن يذل روحها ويحطمها ، أكثر من النصر التى أحرزته عندما قطعت رأس أليفانا (٢١) . ولا نستطيع أن ننكر أن البركة التى حلت على رأس عزريا ورفاقه هى نفس البركة التى حلت ومنحت لجميع القديسين كما نطق بها اسحق وهو يبارك يعقوب : الرب يعطيك ندى السماء (٢٢) فكان هذا الندى فى جوهره أعمق بكثير من الندى الطبيعى الذى أطفأ لهيب النار التى أشعلها نبوخذنصر (٢٣). والأسود المكممة فى حضرة دانيال النبى كانت بعينها هى تلك الأسود الخفية التى عجزت عن ايذائه روحيا فضلا عن الايذاء المادى اننا نستطيع أن نتبين هذه الحقيقة كلما قرأنا هذا الجزء من الكتاب المقدس (٢٤) . ومن يستطيع أن يهرب أو ينجو من بطش الوحش الذى يبتلع كل من يهرب من وجه الله ؟ لقد بطش الوحش بيونان (٢٥) رجل الله اذ هرب من طاعته . ولكن شكرا لله ، لأن ربنا يسوع المسيح قد أخضع هذا الوحش .

قياس العطايا :

لو أن الجميع يأخذون نفس البركات على قدم المساواة ، فليس من الغريب ، أنهم — مع ذلك — لا يتمتعون بالظلال المادية بالتساوى ، بل قد لا يحصل البعض على شىء من هذه الظلال اطلاقا . ويستطيع أن يتفهم هذا الأمر كل من اطلع على عمل المزولة الشمسية ودرس العلاقة بين الظل والجسم المضىء ، ففى وقت معين لا يعطى مؤشر المزولة أى ظل ، وفى أوقات أخرى قد يطول الظل وقد يقصر . وهكذا لا ينبغى أن تأخذنا الدهشة اذا وجدنا هبات الله تعطى لانسان على حسب الضرورة فقط ، وأن بعض الموهوبين قد لا يتبع بركاتهم الروحية أية ظلال مادية . ولا بد أن نضع فى اعتبارنا أن الله يعطى وفقا لمشيئته كما أنه يهب كل شىء للمنفعة . وفى تدبيره يعمل حساب العديد من الروابط الغامضة ، والظروف والأوقات التى يختارها العطاء ، كل الأشياء يرتبها بدقة لصالح أولاده الذين يهبهم ويعطيهم. وفى بعض الأحيان تظهر بعض الظلال لبعض المواهب وليس كلها ، وفى أوقات أخرى تبدو هذه الظلال صغيرة اذا ما قورنت بالعطايا . اذا فالذى يطلب نور الشمس ويحصل عليه لا تأخذه النشوة أو يغمره الحزن سواء غاب الظل أو حضر ، طال أو قصر ، لأنه اقتنى ما هو أهم أى النور . فاذا ما حصلنا على المواهب الروحية ، واستنرنا بنعمة الله ، واستوعبنا هذه الهبات قنية صالحة (٢٦) فلا معنى لأن نضيع الكلام هباء فى الحديث عن الأشياء التافهة لأنها مجرد ظلال . جميع الأشياء المادية والجسدية ، مهما

---

(٢١) يهوديت ١٣ .
(٢٢) تك ٢٧ : ٢٨ .
(٢٣) دا ٣ : ٤٩ وما بعده (الأسفار المحذوفة) .
(٢٤) دا ٦ : ٢٤ .
(٢٥) يون ٢ : ١ — ١١ وأى ٣ : ٨ .
(٢٦) عب ٦ : ٤ .

كانت ، لا تزيد قيمتها عن الظلال الواهنة العابرة . ولا يمكن بحال من الأحوال أن نضعها موضع المقارنة بعطايا الله المقدسة التى تقودنا الى خلاص نفوسنا . كيف تسول لنا النفس أن نقارن بين ثروة المال وبين غنى الكلمة والعلم ؟ (٢٧) هل أستطيع أن أتصور انسانا يقارن بين صحة الجسد والعظام من ناحية وبين صحة العقل وقوة الروح واتزان الفكر من ناحية أخرى . فهذه النعم والمواهب الروحية — وقد رتبتها كلمة الله — لا تجعل من آلام الجسد سوى خدش طفيف او لعله أقل من ذلك .

وكل من أدرك المعنى المخبوء وراء جمال العروس التى يحبها العريس كلمة الله يعلم يقينا أنها تشير الى الروح المتفتحة بجمال يفوق الأرضيات والسماويات . من تصل بصيرته الى هذا المعنى لا بد وان يخجل من نسبة هذا التعبير (الجمال) الى جمال الجسد سواء كان لامرأة او طفل أو رجل ، فالجسد لا يستطيع بطبيعته أن يقتنى الجمال الحقيقى ، لأن كل جسد كعشب وكل مجده (٢٨) فالجمال الذى نراه فى النساء والأطفال يقارنه الرسول بالزهرة : كل جسد كعشب وكل جماله كزهر الحقل .. يبس العشب وذبل الزهر اما كلمة الله فتثبت الى الأبد .

وكل من يتأمل فى كرامة أولاد الله ومجدهم يعلم أن الجمال الحقيقى هو من خصائصهم ، ولو أن الكلمة قد ابتذلت فى لغة البشر . ان الروح التى استوعبت ملكوت المسيح الذى لا يتزعزع (٢٩) لا يسعها الا أن تحتقر كل ملك أرضى ، بل وتعتبره كلا شىء تماما . وعندما تنكشف السمائيات أمام الروح البشرية — على قدر ما تستطيع وهى فى أسر الجسد — ترى جيوش الملائكة (٣٠) ورؤساء الملائكة وقوات الله من رؤساء ملائكة الى عروش وسيادات ورياسات وقوات سمائية (٣١) عندما تدرك هذه النفس بهاء الكرامة التى تنالها من الآب ، هل يمكنها — مهما بلغت من ضعف — الا أن تستصغر شأن الأمور التى تروق للجهال ، وتعتبرها — بالمقارنة — كأن لا وجود لها . حتى لو اعطيت للنفس كرامات العالم جميعا ، فانها تحتقرها وترذلها ، ولا يمكن أن تفرض فى المثابرة على اقتناء الرياسة الحقيقية والقوة الالهية .

اذا ، علينا أن نصلى ، ونطلب السمائيات الأمور الجليلة القدر التى لا غنى عنها لنا ، ونترك بين يدى الله ومشيئته ما يختص بالظلال التى تصاحب العطايا الرئيسية والجوهرية لأنه يعرف ما نحتاج اليه بسبب جسدنا المائت قبل أن نسأله (٣٢) .

---

(٢٧) ١ كو ١ : ٧ .
(٢٨) يع ١ : ١٠ .
(٢٩) عب ١٢ : ٢٨ .
(٣٠) لو ٢ : ١٣ .
(٣١) كو ١ : ١٦ وأف ١ : ٢١ .
(٣٢) مت ٦ : ٨ .

الجزء الثاني

الصلاة الربية

الفصل الأول

مقدمة

قد تكلمنا عن موضوع الصلاة بصفة عامة ، حسب عطية النعمة التى يهبها لنا المسيح (١) فى الروح القدس هذه العطيـــة التى ارجو أن يتبينها القارىء ويدركها . ومن هنا يمكنا أن نتقدم الى البحث التالى فنتأمل تلك الصلاة التى علمنا الرب اياها ، حتى ندرك قوتها واعماقها .

ولا بد لنا أن نلاحظ للوهلة الأولى ، أن نص الصلاة كما جاء فى انجيلى متى ولوقا ، ليس فيه اى تغيير ، ولكن الحقيقة غير ذلك . فالصلاة كما جاءت فى انجيل معلمنا متى كالآتى :

ابانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . خبزنا الجوهرى جدا Supersubstantial أعطنا اليوم . واغفر لنا ما علينا كما نغفر نحن أيضا لمن لنا عليهم . ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير (٢) .

ولكنها وردت فى انجيل معلمنا لوقا بهذا النص :

أيها الآب ، ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . خبزنا الجوهرى جدا اعطنا كل يوم .

واغفر لنا خطايانا ، كما نغفر نحن أيضا لكل من أساء الينا . ولا تدخلنا فى تجربة .

وازاء هذا ، لا بد لى أن اقول أن كلمات الصلاة وان كانت تقترب وتتفق فى بعض النقاط . الا أنها تبدو مختلفة فى غيرها كما سنوضح ذلك فى دراستنا .

---

(١) اف ٤ : ٧ .

(٢) مت ٦ : ٩ ــ ١٣ .

(٣) لو ١١ : ٢ ــ ٤ لا يجب أن يغيب عن أذهاننا الجهود العلمية الضخمة التى بذلها أوريجانوس فى تحقيق نصوص وترجمات الكتاب المقدس والتى استغرقت سنوات طويلة .

ومن ناحية أخرى فلا بد أن نأخذ فى الاعتبار المناسبة التى قيلت فيها فالنص الأول قيل على الجبل لما رأى الجموع فصعد ، ولما جلس تقدم اليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم (٤) وهكذا جاءت هذه الصلاة فى انجيل متى مرتبطة بالتطويبات والمبادىء والتعاليم التى تلتها ضمن الموعظة على الجبل . ومن غير المعقول أن تكون هى نفس الصلاة التى قيلت لأحد التلاميذ ، اذ كان يسوع فى موضع ما يصلى ، فلما فرغ سأله هذا التلميذ أن يعلمه كيف يصلى كما علم يوحنا ايضا تلاميذه (٥) . ليس من السهل — اذا — أن نقبل أن الصلاة بنفس الكلمات وبنفس الترتيب قيلت فى مناسبة ما دون أى طلب سابق ، تقال فى مناسبة أخرى جوابا على سؤال أحد التلاميذ . ولكن البعض يرى — ردا على ذلك — أن الصلاتين اللتين نحن بصددهما ليستا فى الواقع الا صلاة واحدة ، هى نفس الصلاة التى قيلت فى مناسبة منهما للجميع، وفى أخرى قيلت لأحد التلاميذ بناء على طلبه . وليس بعيد الاحتمال أن هذا التلميذ لم يكن موجودا حين قيلت الصلاة فى انجيل متى ، او من الجائز أن كلماتها قد استعيدت لأنه لم يتذكرها أو غابت عن ذاكرته بمرور الوقت . على أى حال ، أرى من الأفضل أن نعتبرها صلاتين مستقلتين حتى وان تشابهت بعض أجزائهما . وقد فتشنا ايضا انجيل معلمنا مرقس عسى أن نجد صلاة أخرى نظير السابقتين ربما تكون قد غابت علينا ، ولكنا لم نجد.

الاستعداد للصلاة :

قلنا فيما سبق أن الانسان وهو على اهبة الصلاة لا بد أن يعد نفسه لذلك . وعند ذلك فقط يتقدم للصلاة . ولهذا يحسن بنا أن نراجع كلمات مخلصنا فى هذا الصدد كما جاءت فى انجيل معلمنا متى قبل نص الصلاة ، فهو يقول : متى صليت فلا تكن كالمرائين الذين يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس . الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صليت فادخل مخدعك واغلق بابك وصل الى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء سوف يجازيك . وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم . فانهم يظنون أنهم بكثرة كلامهم يستجاب لهم . فلا تتشبهوا بهم لأن أبوكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه فصلوا أنتم هكذا .. (٦) .

وفى مواضع عديدة يهاجم الرب محبة المديح كمرض عضال ، كما هو الحال هنا وهو يحذر من الرياء فى وقت الصلاة لأن المرائى يتميز بذلك النمط الخاص فى السلوك حيث يسعى الى الرفعة فى أعين الناس بسبب تقواه أو سخائه . ولا بد أن نضع نصب أعيننا ذلك القياس الذى تحدده هذه

---

(٤) مت ٥ : ١ وما بعده .
(٥) لو ١١ : ١ .
(٦) مت ٦ : ٥ — ٩ .

الكلمات : كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا من الناس ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه (٧) والواقع أن من الواجب علينا أن نغض النظر عن كل مجد بشرى ، حتى لو كنا نظن أننا به جديرون ، بل بالأحرى أن نسعى نحو المجد الحقيقى الصادق الذى يعطيه الله وحده ، الذى يستطيع بتدبيره — الذى يليق بجلاله — أن يكرم الشخص المستحق للكرامة تكريما يتناسب مع مستواه الأقدس ، فيفوق هذا التكريم كل مواهب هذا الانسان . وفى نفس الوقت نرى أن هذه الأمور بعينها التى تستحق الثناء والمديح تنتقص قيمتها عندما نمارسها ونحن نستهدف هذا الاطراء الذى يعقبها ، لأننا — فى هذه الحالة — لا نعملها الا لكى نحصل على هذا المجد من الناس ، أو لكى يرانا الناس (٨) . والعاقبة التى ينتهى عندها مثل هذا التصرف هى ألا ننال مجازاة عنها من الله . ومع أن كل كلمة من كلمات المسيح صادقة ، فبالأولى تزداد يقينا وصدقا — اذا استطعنا أن نثير فى التعبير قوة أكبر وأعمق — تلك الكلمات التى تقترن بلفظ التأكيد المعتاد « الحق الحق » فالرب حين يتحدث عن الاخوة الذين من أجل مجد الناس يصنعون خيرا بالقريب ، أو يقومون فى المجامع وفى زوايا الطريق يصلون لكى يراهم الناس ، فيعقب على مسلكهم هذا بقوله : الحق أقول لكم لقد استوفوا أجرهم (٨) .

وترتيبا على هذه الحقيقة تكون النتيجة . ففى انجيل القديس لوقا نقرأ عن الرجل الغنى الذى لم يستطع أن يتمتع بالخيرات فى حياة الدهر الآتى ، لأنه قد استوفى خيراته على الأرض (٩) . فالذى يستوفى أجره عن صدقاته أو صلواته فى هذا العالم لا يمكنه أن يحصد حياة أبدية (١٠) لأنه لم يزرع فى الروح بل زرع فى الجسد وبالتالى لا بد له أن يحصد — بالضرورة — فسادا . هكذا يزرع فى الجسد من يصنع صدقته ويبوق أمامه بالبوق فى المجامع والطرقات حتى ينال مجدا من الناس أو من يستهويه اداء الصلاة فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يراه الناس تقيا وقديسا .

ان هذا المخدوع الضال انما يتبع الطريق الرحب الواسع المؤدى الى الهلاك (١١) ، الذى لا يمكن وليس من طبيعته أن يكون طريقا مستقيما ومباشرا ، بل على العكس يلتوى فى كل خطوة وتزداد وعورته . ومن أجل الوصول الى تحقيق هذه اللذة ، يجد المسكين نفسه لا يسلك فى طريق محدد ، بل يجد نفسه موزع الخاطر مشتت الفكر فى عدة طرق انحدر اليها كل الساقطين فى طريق الموت ، الذين عزلوا أنفسهم عن الالهيات ، ويقنعون بتقديم المجد والكرامة لمن يمارس التقوى على قارعة الطريق . واقرارا للحق

---

(٧) يو ٥ : ٤٤ .
(٨) مت ٦ : ٢ و ٥ .
(٩) لو ١٦ : ٢٥ .
(١٠) غل ٦ : ٨ .
(١١) مت ٧ : ١٣ .

والواقع فلا بد أن نقول أن هناك من الصلوات ما يتجلى فيها محبة ذويها للمتعة واللذة أكثر مما يبدو فيها من محبة لله (١٢) . ففى وسط ولائمهم وشكرهم يندمجون فى صلوات مخمورة .. هؤلاء حقا هم الذين يقومون مصلين فى زوايا الشوارع لأن كل من يحيا حياة اللذة انما يحب الطريق الواسع ، وينحرف عن الطريق الضيق المستقيم (١٣) الذى ليسوع المسيح. لا يوجد فى طريق الرب اى اعوجاج أو انعطاف أيا كان .

العرض والجوهر :

هناك فارق كبير بين الكنيسة والمجمع ، لأن الكنيسة الحقيقية لا دنس فيها ولا غضن أو اى شىء من مثل هذه العيوب ، بل تكون مقدسة وبلا عيب (١٤) . هذه الكنيسة المقدسة لا ينضوى تحت لوائها ابن الزانية أو الخصى أو المجبوب (١٥) او المصرى أو العبدونى الا فى الجيل الثالث من ابنائهم لأنه من الصعب عليهم أن يشاكلوا صورة الكنيسة ، وكذلك لا يدخلها موآبى أو عمونى حتى يكمل زمانهم بعد الجيل العاشر (١٦) . ومع ذلك نقرأ عن المجمع الذى بناه قائد مائة قبل مجىء الرب يسوع ، بناه هذا الأممى قبل أن يحصل على تلك الشهادة من الرب بأن له ايمانا لا مثيل له فى اسرائيل (١٧) .

فالفارق — اذا — ليس فى العرض أو المظهر ، بل يكمن فى روح العبادة . فالذى يصلى فى المجامع ليس بعيدا عن زوايا الشوارع ، بينما الصلاة عند القديس ليست كذلك ، ليست مجرد نزعة أو ميل طارىء ولكنها موضوع محبة قلبه . واذ يرفع صلاته لا يقدمها فى المجامع بل فى الكنيسة الطاهرة ، وليس فى زوايا الشوارع ومنعطفات الطريق بل فى استقامة الطريق الضيق ، ولا لكى يراه الناس بل لكى يتراءى أمام عينى الرب الهه (١٨) . انه الرجل الذى يحفظ سنة الرب المقبولة (١٩) ، ويحفظ وصيته ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع الذكور أمام الرب الاله (١٨) .

وعلينا ان نمعن النظر فى قوله : .. لكى يظهروا للناس (٢٠) ومعنى هذا أن سلوكهم مجرد مظهر ليس الا ، يبدو فقط انه كائن ، ولكن فى الواقع ليس له وجود فعلى . انه يموه على الناظرين ويخدع التصور ، ولكنه لا يصدق مع واقعه ولا يعبر بأمانة ودقة عن جوهر الانسان . ما أشبه المرائى بالممثلين

---

(١٢) ٢ تى ٣ : ٤ .
(١٣) مت ٧ : ١٤ .
(١٤) أف ٥ : ٢٧ .
(١٥) الشخص الذى خصاه الناس .
(١٦) تث ٢٣ : ١ — ٨ .
(١٧) لو ٧ : ٥ و٩ ومت ٨ : ١٠ .
(١٨) تث ١٦ : ١٦ .
(١٩) اش ٦١ : ٢ .
(٢٠) مت ٦ : ٥ .

فى المسرحيات ، يظهرون للناس فى صورة لا تتفق مع حقيقتهم . حتى من حيث أدائهم لأدوارهم نلاحظ أنهم لا يطابقون واقع الأدوار التى يقومون بتمثيلها . هكذا كل من يصطنع صورة البر ، ليس فى حقيقته بارا ولكنه يمثل شخصية البار . انه يمثل على مسرح يختص به — فى المجامع وفى زوايا الشوارع .

أما اذا خلع المرء عن نفسه رداء التمثيل ، ورفض أن يتقمص شخصية ليست هى طبيعته ، واستطاع أن يتحرر من الشوائب الغريبة عليه فيعد نفسه اعدادا صالحا للعمل على مسرح آخر واعظم بكثير بما لا يقاس عن مسرح العالم ، فانه يدخل مخدعه (٢١) وينحصر فى كنزه المخفى ، كنز الحكمة والمعرفة (٢٢) . وخارج هذا لا يطلب شيئا أو يعيره التفاتا ، بل يغلق كل ابواب الحس حتى لا تجتذبه الحواس أو تنقل الى عقله وذهنه اية صورة من صور الحس والمادة . هنا يصلى الى الآب الذى لا يحتجب عن مثل هذه الخلوة بل يسكن فيها مع الابن الوحيد (٢٣) الذى قال : لأنى والآب اليه نأتى وعنده نصنع منزلا (٢٤) .

فمن الواضح اذا اننا عندما نصلى هلى هذه الصورة انما نتحدث مع الله ، والله عادل مطلق العدالة ولكنه أيضا أب ، واب لا يفارق أولاده ، بل يحل ويحضر فى خلوتنا (٢٥) ويحفظها ، ويزيد من ثروة كنوزنا .. فقط علينا أن نغلق الباب .

تكرار الكلام باطلا :

وعندما نصلى يجب علينا الا نكرر الكلام باطلا (٢٦) ، بل يجب أن ندرك أننا نتكلم مع الله . ومتى — اذا — تعتبر صلاتنا من قبيل تكرار الكلام باطلا ؟ يتم ذلك عندما لا نفحص ذواتنا بالتدقيق ، وعندما لا ندقق فى الكلمات التى نقدمها فى صلاتنا ، وعندما نردد الأحاديث عن الاعمال او الأقوال أو الافكار الثانية .. لأن هذه الأمور صغيرة بغيضة غريبة على قداسة الله . ولا يخامرنى شك فى أن الذى يكرر الكلام باطلا لا يقل عن رفاقه فى المجمع القديم — كما سبق وتكلمنا — ان لم يكن أسوأ منهم حالا . وهذا الطريق الشائك الذى يسلكه لا يقل وعورة وخطورة عن طريق أصحاب زوايا الشوارع . ولا يستطيع فى هذه الحالة أن يدعى لنفسه حتى ولو مجرد مظهر البر لأن الانجيل يضعه فى مصاف الأمم الوثنيين اذ يصرح بأن الأمم فقط هم الذين يكررون الكلام باطلا . ولماذا يفعل الأمم ذلك ؟ لأنه لا يخطر على بالهم شىء ما من الطلبات السمائية العظمى ، بل تدور صلواتهم وطلباتهم دائما حول احتياجاتهم الجسدية والخارجية . ولذلك فمن يرفع صلاته الى السيد

---

(٢١) مت ٦ : ٦ . (٢٢) كو ٢ : ٣ واش ٦ : ١٨ وما بعده .
(٢٣) يو ١ : ١٤ و١٨ ويو ٣ : ١٦ و١٨ و١ يو ٤ : ٩ .
(٢٤) يو ١٤ : ٢٣ . (٢٥) مت ٦ : ٦ واف ٢ : ٢٢ . (٢٦) مت ٦ : ٧ .

الرب الساكن فى السموات وفوق علو السموات (٢٧) ثم يطلب الارضيات والماديات انما هو من الأمم الذين يكررون الكلام باطلا .

ويبدو لى ايضا ان تكرار الكلام باطلا من خصائص المغرمين بالثرثرة ، فلا يمكن أن يكرر الكلام باطلا الا من اعتاد كثرة الكلام (٢٨) ولغو الحديث وهذا يرتبط بالأمور الجسدية والمادية التى لا يمكن أن تتصف بالوحدة من حيث انها تقبل الانفصال والانقسام والتفتت والتعدد . اما الخير فواحد على خلاف الأشياء الدنيا لأنها متعددة ، الحق واحد ولكن الباطل متعدد ، العدالة الحقيقية واحدة ولكن لها أضداد كثيرون . حكمة الله واحدة ولكن ما أكثر فلسفات هذا العالم وعظماء هذا العالم الذين يبطلون (٢٩) . وكلمة الله واحد ولكن ما أكثر الكلمات الغريبة والأجنبية على الله . ولهذا فمن الصعب على الانسان أن يتفادى السقوط فى خطية كثرة الكلام ، كما انه لا يمكنه أن ان ينال استجابة من الله اذا وقر فى ظنه أن هذه الاستجابة تتوقف على ثرثرته وكثرة كلامه .

وعلى هذا ينبغى لصلواتنا الا تشاكل ثرثرة الأمم أو تكرارهم الكلام باطلا أو ما شابه ذلك من الفروض التى يؤدونها على غرار الحية (٣٠) لأن اله القديسين — وهو أب — يعرف كل ما يحتاج اليه ابناؤه ما دامت هذه الحاجات جديرة بأن تعرف لدى الآب . أما اذا كان الانسان بعيدا عن معرفة الله فهذا يؤدى به الى الجهل بالأمور الخاصة بالله وهذا بدوره لا يجعله يعرف ما يحتاج اليه هو من الله . ومن ناحية أخرى ، يتردى فى خلط خطير فالأشياء التى يظن انه فى مسيس الحاجة اليها كثيرا ما تكون ملوثة بالخطية. أما المؤمن الذى يتطلع الى ما هو أفضل وما هو الهى فيتلقى بالرضى والمسرة كل الهبات والعطايا التى يمنحه الله اياها والتى يعرفها الآب ويعرف حاجة الانسان اليها قبل أن يصلى لأجلها .

والآن وقد تحدثنا عما يسبق الصلاة ، كما جاءت فى انجيل معلمنا متى ، يمكنا ان نتأمل فى التعاليم التى نستقيها من الصلاة نفسها .

---

(٢٧) مت ٦ : ٦ واش ٦٦ : ١ .

(٢٨) النص اليونانى يشير الى كثرة الكلام أما الكلمة التى وردت فى مت ٦ : ٧ فتشير الى التلعثم وتكرار ترديد نطق اللفظ أو النغم أو الصوت أو الهذيان .. الخ . وقد كان بعض الوثنيين يعتقدون أنه بالتكرار المتواصل وترديد ومضاعفة أسماء الله يستطيعون أن يجتذبوا انتباه الله اليهم ، وبلجاجتهم يدفعون الله الى تحقيق حاجتهم . (٢٩) ١ كو ٢ : ٦ .

(٣٠) لهم حمة (جنون) مثل حمة الحية . مثل الصل الأصم يسد أذنه مز ٥٨ : ٤ فلا تتشبهوا بهم مت ٦ : ٨ .

الفصل الثانى

أبانا الذى فى السموات (١)

أبانا الذى فى السموات . .

جدير بنا أن نفحص العهد القديم بالتدقيق لعلنا نجد فيه ، فى اى سفر من أسفاره ، صلاة يدعو المصلى فيها الله بكلمة الآب . لقد بحثت كثيرا وفتشت بعناية وجد على قدر ما أستطيع فلم أجد صلاة واحدة تتضمن هذا النداء . ولكن هذا لا يعنى بالطبع انى أدعى انه ليس هناك ما يشير الى أبوة الله ، أو أن المؤمنين باسمه لم يطلق عليهم لقب البنين « أولاد الله » ولكن ما أقصده بالتحديد أننا لم نجد فى اية صلاة تلك الدالة والثقة والايمان التى تتجلى فى مناداة الله بكلمة « الآب » كما أعلنها المخلص .

أما اطلاق لقب الآب على الله ، ولقب البنين او الاولاد على الملتجئين الى كلمة الله ، فهذا ما يمكنا أن نجده فى أماكن متعددة . ففى سفر التثنية مثلا يقول : تركت الله الذى أبداك (ولدك) ونسيت الله الذى رعاك (أطعمك) (٢) كما يقول : أليس هو (الله) أباك ومقتنيك . هو عملك وأنشأك (٣) ثم يلومهم بقوله : أولاد لا أمانة فيهم (٤) . وفى سفر أشعياء النبى يقول : ربيت بنين ونشأتهم أماهم عصوا على (احتقرونى) (٥) وفى

---

(١) يعتقد Chase أن النص المطول « أبانا الذى فى السموات » والتعبير الموجز « أيها الآب » كان كلاهما متداولا فى العصر الرسولى ولكن النص الأول كان محببا لدى التلاميذ ، وفى نفس الوقت يطابق النص الأصلى للجملة الأولى من الصلاة كما وردت فى اللغة اليونانية . ومن ناحية اخرى فالنص الموجز له ما يؤيده من كلمات مخلصنا الصالح فى بستان جثسيمانى (أيها الآب . . ليس ما أريده أنا بل ارادتك مر ١٤ : ٣٦) وما قاله معلمنا بولس : أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا أبا الآب غل ٤ : ٦ ، روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب رو ٨ : ١٥ .

(٢) تث ٣٢ : ١٨ .
(٣) تث ٣٢ : ٦ .
(٤) تث ٣٢ : ٢٠ .
(٥) أش ١ : ٢ .

سفر ملاخى : الابن يكرم اباه ، والعبد يكرم سيده . فان كنت أنا أبا فأين كرامتى ؟ وان كنت سيدا فأين هيبتى (٦) ؟ .

وعلى الرغم من أن الله يدعى الآب والمولودين فيه بكلمة الايمان يلقبون بالبنين ، الا اننا لا نجد بين القدماء ذلك المفهوم العميق لهذه البنوة الايجابية التى لا تتحول أو تتغير . ومع ذلك فالنصوص التى أوردنا نماذجها تكشف لنا عن حقيقة هؤلاء الذين دعوا بالبنين ، لانهم فى الواقع لم يكونوا سوى عبيدا طبقا لما شرحه لنا الرسول بولس اذ يقول : ما دام الوارث قاصرا لا يفرق شيئا عن العبد مع كونه صاحب الجميع ، بل هو تحت أوصياء ووكلاء الى الوقت المؤجل من أبيه (٧) ولكن ملء الزمان (٨) يتضمن مجىء ربنا يسوع المسيح فى وسطنا ، وحينئذ يستطيع من يطلب أن يأخذ نعمة التبنى لكى يحسب مع الأولاد . وفى هذا يقول القديس بولس : اذا لم نأخذ روح العبودية ايضا للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب (٩) . كما نقرأ فى انجيل معلمنا يوحنا : واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد اى المؤمنون باسمه (١٠) . وفى رسالته الجامعة نتعلم أن المولودين من الله — بفضل روح التبنى هذه : كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله (١١) .

فاذا ما أدركنا جيدا ما تفصح عنه الكلمات : متى صليتم قولوا أيها الآب — كما جاءت فى انجيل معلمنا لوقا ، ربما نتردد فى وجل ، ونحجم عن مناداة الله بهذا اللقب ما لم نكن بالحقيقة أولادا لله ، مخافة أن نضيف الى خطايانا اثما جديدا يتمثل فى عدم التقوى وفى هذا التهاون وهذا الاستهتار . وما أعنيه فى هذا التنبيه لا يخرج عما قصد اليه الرسول بولس فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : ليس أحد يستطيع أن يقول الرب يسوع الا بالروح القدس ، وليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول أناثيما ليسوع (١٢) ولا شك أن الرسول يستعمل تعبير الروح القدس وروح الله بمعنى واحد . وربما انتابنا شىء من الغموض والابهام حول المقصود بقوله « أن يقول الرب يسوع بالروح القدس » ، لأن هناك عددا لا يحصى من المرائين وكثيرين من الهراطقة بل أحيانا حتى من الأرواح الشريرة وهم ساقطون تحت قوة هذا الاسم يستخدمون هذه الكلمات فكيف يتفق هذا مع ما تعلمناه من أن الانسان لا يستطيع أن يقول الرب يسوع الا بالروح القدس ؟ ! انهم لا يقولون هذا

---

(٦) مل ١ : ٦ .
(٧) غل ٤ : ١ .
(٨) غل ٤ : ٤ .
(١٩) رو ٨ : ١٥ .
(١٠) يو ١ : ١٢ .
(١١) ١ يو ٣ : ٩ .
(١٢) ١ كو ١٢ : ٣ .

القول الا لأنهم مرغمين أمام قوته وسلطانه ، أو رياء منهم أمام الناس ولكن حياتهم وأعمالهم خالية تماما من سلطان هذه الكلمة . ولكن خدام كلمة الله وحدهم ، من كل ما يعملون ، لا يدعون أحدا سيدا وربا الا هو . اذا هؤلاء هم الذين يستطيعون أن يقولوا « الرب يسوع » بتصرفهم ذاته . واذا كان هؤلاء هم الذين يقولون الرب يسوع ، فيترتب على هذا — احتمالا — أن كل من يخطىء انما يجحد أو يلعن كلمة الله بنفس أداء الخطية وبأعماله الشريرة يصرخ قائلا أنا ثيما ليسوع . اذا فهناك فريق من الناس يؤمن ويجاهر بالرب يسوع وعلى نقيضهم فريق آخر يقول أنا ثيما ليسوع . يترتب على هذا أيضا أن كل من ولد من الله (١١) ولا يخطىء يشترك فى زرع الله الذى يحفظه من كل خطية ويعلن بأعماله : أبانا الذى فى السموات . والروح نفسه يعطى شهادة لأرواحهم — أنهم أولاد الله وورثته وورثة مع المسيح (١٣) . لأنهم وهم يتألمون معه لهم الحق أن ينتظروا بالرجاء أن يتمجدوا معه أيضا . الا أن مثل هؤلاء المؤمنين لا يقولون أو ينادون الله « أبانا » بقلوب واجفة مترددة ، ولكن فضلا عن أعمالهم فان قلوبهم أيضا وهى مصدر وينبوع هذه الأعمال الصالحة ، انما تؤمن بالبر بينما أفواههم تعترف وترنم بالخلاص (١٤) .

وفضلا عن هذا كله فان الابن الوحيد يشكل كل أفكار هؤلاء البنين وكلماتهم وأفعالهم لكى تكون على صورته (١٥) ، فتتكاثر فيهم صورة الله غير المنظور (١٦) ، وهكذا تتوافق الصورة مع خليقة الله التى صنعها ، الذى يجعل شمسه تشرق على الصالحين والأشرار ، ويمطر على الابرار والظالمين (١٧) ، هكذا تتمثل فيهم صورة السماوى (١٨) ، الذى هو نفسه صورة الله . وعلى هذا فالقديسون هم صورة الصورة ، ولما كان الابن هو صورة بهاء الله ورسم جوهره ، فهم يأخذون انطباع البنوة ليس فقط لأنهم يصبحون على غرار جسد مجد (١٩) المسيح بل يشابهون أيضا الله الظاهر فى الجسد لأنهم يتآلفون مع المسيح فى جسد مجده واستحال فى تجديد أذهانهم (٢٠) ولهذا يقولون فى كل الأمور « أبانا الذى فى السموات » . أما الذى يخطىء — كما يقول معلمنا يوحنا فى رسالته — فهو من الشيطان لأن الشيطان يخطىء منذ البدء (٢١) . وكما أن زرع الله الذى يثبت فيمن ولد من الله ، يجعل من المستحيل عليه أن يخطىء لأنه تكون على صورة الابن الوحيد الكلمة ، فعلى نفس القياس كل من يخطىء يوجد فيه زرع الشيطان ،

---

(١١) ١ يو ٣ : ٩ .
(١٣) رو ٨ : ١٦ وما يليها .
(١٤) رو ١٠ : ١٠ .
(١٥) غل ٤ : ١٩ .
(١٦) كو ١ : ١٥ .
(١٧) مت ٥ : ٤٥ .
(١٨) ١ كو ١٥ : ٤٩ .
(١٩) فى ٣ : ٢١ .
(٢٠) رو ١٢ : ٢ .
(٢١) ١ يو ٣ : ٨ وما يليها .

واذا كان هذا الزرع الشرير فى نفسه يتعذر على مثل هذه النفس أن تتقدم الى ما هو افضل . ولكن من أجل هذا الغرض بالذات ظهر ابن الله لكى يقضى على أعمال الشيطان (٢٢) ، لذلك صار من الممكن عن طريق حلول كلمة الله فى أرواحنا أن يقضى ويسحق أعمال الشيطان ، وأن ينزع الزرع الشرير المغروس فينا لنصبح أولادا لله .

لهذا لا ينبغى لنا ان نظن من واجبنا أن نتعلم ترديد كلمات الصلاة فى الوقت المعين لها فقط بل يجب أن نفهم ما نقوله(٢٣) فى الصلاة بلا انقطاع(٢٤)، حتى تصبح حياتنا صلاة دائمة لا تنقطع فيها نردد قولنا : أبانا الذى فى السموات . حذار أن نجعل لنا وطنا على الأرض (٢٥) بل يجب أن نسعى جاهدين ان يكون وطننا فى السموات عرش الله ، لأن مملكة الله قد تأسست على كل من يحمل صورة السماوى ، وهكذا أصبح هو نفسه سمائيا .

الذى فى السموات :

من الخطأ البين أن نظن أن الآب محدود بكيان جسدى أو أن له اقامة فى السماء حين نقول أن أبا القديسين هو فى السماء ؛ لأنه لو قلنا بمثل هذا الرأى لكان معنى ذلك أن الله أقل من السموات ما دامت هذه السموات تحتويه . ولكن الأحرى بنا أن نؤمن بأن الله فى سلطانه الالهى — الذى لا يحده تعبير لغوى — يشمل كل الأشياء ، ويحيط بها ويحفظها .

وعلى وجه العموم ، هناك الكثير من النصوص التى اذا أخذناها بمعناها الحرفى يتبادر الى أذهاننا ذلك المفهوم الخاطىء عن الله باعتبار أن له مكانا ما أو حيزا محدودا . ولكن الواجب يقضى على القارىء أن يدرك الاتجاه السليم فى معانى هذه النصوص لأنها تشير الى مفاهيم روحية عميقة عن الله . ومن أمثال هذه النصوص ما جاء فى انجيل معلمنا يوحنا : أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب ، اذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم الى المنتهى (٢٦) . ثم يستطرد بعد هذا بقليل قائلا : يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شىء الى يديه ، وأنه من عند الله خرج والى الله يمضى (٢٧) ثم يقول بعد ذلك : سمعتم انى قلت لكم انا أذهب ثم آتى اليكم . لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بالحق لأنى أمضى الى الآب (٢٨) وبعد ذلك يقول : وأما الآن فانا ماض الى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى (٢٩) فلو أخذنا هذه النصوص

---

(٢٢) ١ يو ٣ : ٨ .
(٢٣) ١ يو ٣ : ١٢ .
(٢٤) ١ تس ٥ : ٢٧ .
(٢٥) فى ٣ : ٢٠ .
(٢٦) يو ١٣ : ١ .
(٢٧) يو ١٣ : ٣ .
(٢٨) يو ١٤ : ٢٨ .
(٢٩) يو ١٦ : ٥ .

بمعناها الحرفى الضيق فلا بد لنا بالتالى أن نلتزم بنفس المنهج حين نقرأ : أجاب يسوع وقال لهم ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى ومعه نقيم (وعنده نصنع منزلا) (٣٠) .

هذه الكلمات التى تصف مجىء الآب والابن الى من يحب كلمة المسيح لا شك أنها لا تعنى الحضور فى مكان معين ولا ينبغى أن نفهمها على هذا النحو . ففى نزول كلمة الله لكى يسكن معنا ، يليق بنا أن نتأمل مجده وهو يضع نفسه بالحياة بين البشر (٣١) فاذا قيل أن الكلمة يعبر خارجا من هذا العالم الى الآب (٣٢) فلا بد أن ندرك أن الرب هناك فى ملئه وكماله بعد عودته من تخليته اذ أخلى نفسه بيننا وعاد الى ملئه الذاتى (٣٣) ومن جهتنا نحن ، اذا ما تبعناه واتخذناه دليلا ومرشدا فاننا كذلك سوف نحصل على الامتلاء ، ونخلص من كل ما فينا من الفراغ . اذا فليذهب كلمة الله الى ذاك الذى أرسله (٣٤) وليمضى خارجا من العالم ويذهب الى الآب . وهكذا نقرأ فى نهاية انجيل القديس يوحنا هذه الكلمات : لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد الى أبى (٣٥) فهنا أيضا علينا أن نستوعب المغزى الروحى من هذه الألفاظ حتى نفهم صعود الابن الى الآب بالطريقة التى تليق بالله وذلك عندما نتأمل فى خشوع فنرى فى هذا الصعود ارتفاع العقل قبل أن يكون صعودا بالجسد (٣٦) .

كان لا بد لنا أن نتناول هذه النقاط بالبحث عند دراسة هذا النص : أبانا الذى فى السموات ، وذلك حتى يمكن الفصل فى تلك المعانى المهينة عندما يتصور الناس أن الله فى السماء بمعنى أن له مكانا بذات . ولكى يتضح لنا مدى الخطأ فى مثل هذا المعنى ، ينبغى أن نتبين أن القول بأن الله له مكان معين يرادف القول بأن الله له جسد وهذا يترتب عليه اسوأ النتائج وأوخمها وأبعدها عن الايمان ، لأن هذا يعنى أنه كائن مادى قابل للانقسام كما أنه يجوز عليه الفناء لأن هذه هى الصفات التى تنطبق على كل جسد . فاذا كان هذا الاستدلال غير صحيح ، واذا كان أصحاب هذا الرأى لا يخدعون أنفسهم

---

(٣٠) يو ١٤ : ٢٣ . (٣١) فى ٢ : ٧ . (٣٢) يو ١٣ : ١ .

(٣٣) لأن فيه سر أن يحل كل الملء فى ٢ : ٧ و٢ كو ٥ : ١٩ وكذلك : فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا كو ٢ : ٩ والتى هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل اف ١ : ٢٣ .

(٣٤) يو ١٦ : ٥ . (٣٥) يو ٢٠ : ١٧ .

(٣٦) هذا مثال واضح لما تتميز به نظرية اوريجانوس فى التفسير من حيث التأكيد على المفهوم الروحى أو العقلى فى مقابل المفهوم المادى وان كان لا يستبعده تماما .

وهم يدعون الالمام الكافى بالموضوع ، فليدلنى أحدهم كيف يمكن — فى مثل هذه الحالة — أن تكون لله طبيعة أخرى تغاير الطبيعة المادية .

ولما كان الكثير من النصوص التى قيلت قبل مجىء المسيح فى الجسد ، تبدو وكأنها تفيد أن الله له وجود محدود ، فليس من قبيل الاستطراد اذا — فيما يبدو لى — أن نتناول بالدرس والبحث بعضا من هذه النصوص حتى نزيل ما قد يعترى تفسيرها من لبس أو ابهام خصوصا عند الذين يظنون — بسبب ضيق أفقهم — أن اله الكل يحده مكان محدود المعالم .

فقد جاء أولا فى سفر التكوين عن آدم وحواء أنهما سمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وزوجته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة (٣٧) . واذا كان البعض يرفض الدخول الى كنوز الكتاب المقدس ، بل ولا يحاولون حتى مجرد أن يقرعوا الباب (٣٨) حتى يدركوا أعماق الكلمة ، فانى اسألهم : اذا كان الله يملأ السماء والأرض (٣٩) وهو — فيما يقولون — يتميز السماء ماديا عرشا له ، والأرض موطئا لقدميه (٤٠) فكيف يمكن أن يحتويه مكان يتضاءل من حيث الحجم اذا قورن بالسماء والأرض معا ، لأن الفردوس المادى الذى يتحدثون عنه لم يملأه الله تماما ، وليس ذلك فقط بل أن هذا الفردوس أكبر وأعظم منه بحيث يحتوى الله وهو يمشى جائلا فيه ويمكن أن يسمع فيه وقع أقدامه ؟ ! وهذا يسوقنا الى حماقة أشد وأنكى لأن آدم وحواء كانا خائفين من الله بسبب عصيانهما له ثم يختبئان من وجه الله بين أشجار الجنة . أم يقل الكتاب أنهما أرادا الاختفاء على هذه الصورة ، بل يجزم بأنهما اختبآ بالفعل . ثم نأتى الى تساؤل ثالث — يثيره هذا المفهوم المادى — كيف يتفق أو يجوز أن نقول ان الله أخذ يبحث عن آدم قائلا : أين أنت ؟ (٤١) .

لقد سبق أن عالجنا هذه النقاط باستفاضة عندما كنا ندرس سفر التكوين (٤٢) . ومع ذلك فلا يمكننا أن نعبر فى صمت على هذه المشكلة العامة ، الا أنا سنكتفى باسترجاع الكلمات التى قالها الله فى سفر التثنية : انى سأسكن فيهم وأسير بينهم (٤٣) ومن هنا يتبين المعنى أن الله كما يسير فى وسط قديسيه هكذا يكون سيره فى الفردوس ، والخطاة جميعا يختبئون أمامه ، ويتجنبون نظراته لأنهم فقدوا ثقتهم (٤٤) . وعلى هذا المنوال خرج

---

(٣٧) تك ٣ : ٨ . (٣٨) لو ١٣ : ٢٥ . (٣٩) أر ٢٣ : ٢٤ .
(٤٠) مت ٥ : ٣٤ وما يليها واش ٦٦ : ١ . (٤١) تك ٣ : ٩ .
(٤٢) لأوريجانوس ١٧ موعظة على سفر التكوين فى الترجمة اللاتينية فقط مع اضافات لرفينوس . كما كتب تأملات فى ١٣ كتابا وهى التى يشير اليها هنا ولكن لم يبق منها سوى شذرات متفرقة . (٤٣) ٢ كو ٦ : ١٦ .
(٤٤) فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة عب ١٠ : ٣٥ .

قايين أيضا من وجه الرب وسكن فى أرض نود فى مقابل عدن (٤٥) وكما يسكن الله فى قديسيه ، هكذا يسكن فى السماء سواء كانت هذه السماء تشير الى كل قديس يحمل صورة السماوى (٤٦) أو تشير الى المسيح المذخر فيه كل كواكب السماء وانوارها (٤٧) . وكذلك يمكنا أن نقول ايضا انه يسكن فى السماء خلال قديسيه الذين انتقلوا الى الكنيسة المنتصرة ولهذا قال المرنم : اليك رفعت عينى يا ساكن السماء (٤٨) .

والى جوار هذا نضع كلمات الجامعة : لا تتعجل فتنطق كلمة قدام وجه الرب ، لأن الله فى السماء من فوق وانت على الأرض من تحت (٤٩) لأن هذه الكلمات انما ترمى الى ابراز حقيقة الفارق الذى يفصل بين الساكنين فى جسد الضعة (٥٠) وبين الذى يعيش مع الملائكة — بفضل معونة الكلمة — ومع القوات المقدسة ومع المسيح نفسه . اذا غليس من الغريب أن يطلق لفظ السماء رمزيا على المسيح ، ويصبح بذلك هو عرش الآب وتسمى كنيسته الأرض التى صارت موطئا لقدميه (٥١) .

أرجو بعد هذا العرض السريع لبعض فقرات العهد القديم التى قد توحى بمكانية الله أو محدوديته ، أن أحث القارى بكل الوسائل الممكنة على فهم الكتاب المقدس وتفسير معانيه على أساس روحى سام خصوصا وهو يقرأ مثل هذه النصوص التى تنسب الى الله أوصافا أو أعمالا مادية محدودة .

كان من الضرورى أن نتعرض لهذه النقطة ونحن نتدارس هذه الكلمات « أبانا الذى فى السموات ، حتى يزول كل غموض يحيط بجوهر الله ، ونرتفع به عن مستوى مادة الأشياء المخلوقة ، بل ولا توجد شركة بين الله وبينها حتى وان وهبها الله مجدا وقوة من لدنه . وأقصى ما يمكننا أن نقوله عنها أنها أعطيت قبسا من الوهيته .

---

(٤٥) تك ٤ : ١٦ .

(٤٦) وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضا صورة السماوى ١ كو ١٥ : ٤٩ .

(٤٧) لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار فى العالم فى ٢ : ١٥ وسر السبعة الكواكب التى رأيت على يمينى .. السبعة الكواكب هى ملائكةالسبع الكنائس رؤ ١ : ٢٠

(٤٨) مز ١٢٣ : ١ . (٤٩) جا ٥ : ٢ .

(٥٠) الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء فى ٢ : ٢١ .

(٥١) وأما عن الابن كرسيك يا الله الى دهر الدهور عب ١ : ٨ وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسى الله ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه مت ٥ : ٣٤ وما بعدها .

الفصل الثالث

ليتقدس إسمك

ليتقدس اسمك . .

عندما نصلى هذه الطلبة ، هل يعنى هذا أن ما نطلبه لم يحدث بعد ، واننا نصلى لكى يحدث ؟ وان كان قد حدث بالفعل ، فهل يستفاد من هذه الطلبة ، أن هذا لم يستمر ، فنطلب من أجل دوامه ؟ نحن مطالبون بتقديم هذه الطلبة كما جاءت فى انجيلى متى ولوقا : ليتقدس اسمك (١) ورب معترض يقول : وكيف يكون هذا أن انسانا أيا كان ، يصلى من أجل تقديس اسم الله وكأنه ليس مقدسا ؟ ! . . هذا كله يحتم علينا أن نتفهم المقصود من « اسم » الآب و« تقديسه » .

أما الاسم فهو التعبير الذى يحمل شخصية المسمى ويبرزها ، ولدينا مثالا لذلك اسم بولس الرسول ودلالته على شخصيته الفردية . فهو — من ناحية — كائن روحانى وبالتالى من نوع خاص متميز ، ومن ناحية أخرى فهو كائن عاقل مما يستلزم انه — بالضرورة — يتأمل ويتعقل أشياء معينة . ومن ناحية ثالثة فهو جسد يتميز بهذه الصفة أو تلك . هذه الشخصية التى يدل عليها الاسم بولس ذات متفردة أى تمتاز عن غيرها حيث انه لا يوجد بين الأحياء من يشابه بولس تشابه المطابقة وبالتالى لا يعبر هذا الاسم (٢) الا عن هذه الشخصية وحدها .

ولكن هكذا تجرى الأمور بين الناس ، فيطرأ على الشخص شىء من التغير ، وبالتالى فلا بأس أن تتغير أسماؤهم حتى تتوافق مع هذا التجدد كما نرى فى الكتاب المقدس . فقد تغيرت شخصية ابرام ودعاه الله ابراهيم (٣) ، وسمعان أطلق عليه الرب اسم بطرس (٤) وعندما تغيرت شخصية شاول القاسى الذى كان يطارد الرب يسوع سمى بولس (٥) .

أما فيما يختص بالله ، وهو هو دائما ، لا يتغير ولا يتحول ويظل بلا تغيير الى الأبد ، فليس له سوى اسم واحد باق الى الأبد . هو الكائن

---

(١) مت ٦ : ٩ ولو ١١ : ٢ .
(٢) أع ١٣ : ٩ .
(٣) تك ١٧ : ٥ .
(٤) مر ٣ : ١٦ ويو ١ : ٤٢ .
(٥) أع ٩ : ٤ و١٣ : ٩ .

أى يهوه كما يعلمنا ذلك سفر الخروج (٦) أو فى أى تسمية أخرى جاءت بعد ذلك لا نجد سوى هذا المعنى . ورغم كثرة ما نقوله عن الله ، وتعدد الآراء عنه ، ورغم أننا جميعا نعرف شيئا ما — قل أو كثر — عن الله . الا أننا لا نعرف ماهيته معرفة كاملة . بل لست أبالغ اذا قلت أننا لا نعرف سوى القليل أو أقل من القليل . والقلة النادرة من الناس هى التى تستطيع أن تستشف وتدرك قدسيته فى كل المخلوقات .

فمن الحق اذا ، أن نتعلم الصلاة حتى يتقدس ادراكنا لله ومعرفتنا له ، ومفهومنا عنه. وبالتالى ننال الاستنارة حتى نتبين قدسيته فى خليقته ومعونته، وندرك حكمته فى اختياره لهذا أو رفضه لذاك ، حكمته فى القبول وفى الرفض، فى المكافأة أو العقاب الذى يوقعه على كل واحد حسب صفاته وخصائصه .

فى كل هذه الأعمال — على تباينها واختلافها — يمكنا أن نستشف ذلك الطابع الذى تتميز به شخصية الله القدوس ، والتى يشير اليها الكتاب المقدس — فيما أرى — بالتعبير « اسم الله » . ففى سفر الخروج مثلا يقول : لا تنطق (تتخذ) باسم الرب الهك باطلا (٧) وفى سفر التثنية يقول :فلينتظر كل حى صوتى كما ينتظر المطر ، ويقطر كالندى كلامى ، كالطل على الكلأوكالوابل على العشب لأنى سأدعو باسم الرب (٨) وفى المزامير : يذكرون اسمك طول الأجيال (٩) فكل من يدخر فى ذهنه افكارا لا تليق بقدسية الله انما يتخذ أسم الرب الاله باطلا ، أما من يستخدم اسمه وصوته كالمطر الذى يعين نفوس السامعين على النضوج والاثمار ، ويستخدم كلامه الذى ينسكب كالندى فيعزى القلوب ، وينهمر من فمه وابل من الكلمات الفعالة لتعليم وبنيان السامعين فانه يحقق كل هذه الغايات ويتممها بفضل هذا الاسم . والخادم الذى يتحقق من حاجته الى الله لكى يصل الى هذه الأهداف ، يدعوه الى معونته . وبالتالى فان الله — فعلا — يعطى القوة والفعالية فى هذه الخدمة كما وصفناها وعندما نوضح الأمور المختصة بالله ، فلعلنا نسترجع ونعيد الى الذاكرة تلك الأمور الروحية العليا ، أكثر من قيامنا بدراستها وتعلمها حتى ولو تراءى لنا أننا نسمعها من شخص آخر أو بدا لنا أننا نكتشف أسرار العبادة (١٠) .

---

(٦) خز ٣ : ١٤ .
(٧) خر ٢٠ : ٧ .
(٨) تث ٣٢ : ٣ وما يليها .
(٩) مز ٤٤ : ١٨ .
(١٠) هذه العبارة من أوضح العبارات التى تكشف عن تأثر أوريجانوس وقبوله لنظرية افلاطون عن الفكر وعالم المثل والتذكر . وقد رأى افلاطون ان للروح وجودا سابقا على الحياة فى الجسد . وهى فى هذه الحالة الأصلية كانت روحا نقية تستطيع أن ترى الله ، الا أن الجسد والخطية افسدا هذه الرؤية وان لم تحجبها تماما ، فتبقى بعض الخواطر الخاصة التى تراود الانسان ولا تعرف النفس مصدر معرفتها الأصلى بها .

ولما كان المصلى ينبغى له أن يدرك هذه الاعتبارات حتى يطلب — بفهم وادراك — أن يتقدس اسم الله ، لهذا نقرأ فى المزامير : فلنسبح اسمه معا . هنا يدعونا النبى أن نسرع فى توافق كامل بعقل واحد وفكر واحد لنقترب من المعرفة العظمى الحقيقية لشخص ربنا والهنا . فالمرء يسبح اسم الله « معا » عندما يشترك فى الفيض الالهى بمساندة الله فيتغلب على أعدائه الذين لا يسعهم الا أن يسروا بسقوطه ويشمتوا فيه . وهو يسبح أيضا قوة الله عينها التى يأخذ نصيبه منها . وتتضح لنا هذه الحقيقة من المزمور التاسع والعشرين اذ يقول : أعظمك يارب لأنك انتشلتنى ولم تشمت بى أعدائى(١١). فاذا قرأنا عنوان المزمور « اغنيته عند تدشين بيت داود » ندرك أننا نعظم الله عندما نخصص ونكرس للرب بيتا ومسكنا فى داخلنا .

وما دمنا بصدد الحديث عن هذه الكلمات « ليتقدس اسمك » وغيرها من العبارات التى توضع فى صيغة الأمر ، فلا بد لنا هنا أن نشير الى أن المترجمين قد جرت عادتهم أن يستخدموا صيغةالأمر بدلا من صيغة التمنى . فمثلا نقرأ فى المزمور : لتبكم الشفاه الغاشة التى تتكلم بالشر علىالصديق(١٢) بدلا من القول : ليتهم يبكمون .. وفى المزمور ١٠٨ يشير الى يهوذا بقوله : ليصطد المرابى كل ماله ، ولا يكن له باسط رحمه (١٣) فالمزمور كله عبارة عن صلاة أو دعاء على يهوذا أن تحل به هذه الويلات التى يعددها المزمور .

الا أن تاتيان (١٤) لم يدرك أن الصيغة « ليكن » لها قوة الأمر وأنها لا تعنى التمنى فى كل الأحوال . وهذا أدى به الى أوخم النتائج عند تفسير قول الكتاب : ليكن نور (١٥) ففسرها على أن الله رغب وتمنى ، ولم يدرك أنه أمر الله للنور ان يكون ويوجد . وفى هذا رأى تاتيان — بلا تقوى — أن الله كان فى ظلمة . وهنا لكى أرد على هذا المنهج اسأل : كيف يفسر وكيف يفهم النصوص القائلة : لتنبت الأرض عشبا ، ولتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ، لتفض المياه زحافات ذات نفس

---

(١١) مز ٢٩ : ١ مع ١ كو ١ : ١٠ .

(١٢) مز ٣٠ : ١٩ (٣١ : ١٨) ويقصد أوريجانوس بالمترجمين الأشخاص الذين قاموا بالترجمة السبعينية . (١٣) مز ١٠٨ : ١١ .

(١٤) تاتيان من أصل سورى وقد كان احد المدافعين عن المسيحية فى القرن الثانى فكتب فى ذلك كتابه «خطاب الى اليونانيين» Oratio ad Graecos كما كتب « اتفاق البشيرين » Diatessaron وقد اسس شيعة Encratites الذين امتنعوا عن الزواج واكل اللحم وشرب النبيذ . ومن الواضح انه مات هرطوقيا .

(١٥) تك ١ : ٣ .

حية ، لتخرج الأرض ذوات أنفس حية (١٦) الآن الله أراد أن يجد أرضا صلبة يقف عليها ، تمنى أن تجتمع المياه التى تحت السماء الى مكان واحد ؟ ام لعله أراد أن ينال من ثمار الأرض التى دعا الأرض أن تنبتها ؟ وعلى قياس نظريته فى تفسير النور ، هل كانت لله حاجة الى حيوانات البحر والأرض والهواء حتى أنه دعا من أجلها واستدعاها ؟ ومع ذلك يقول ثاثيان أيضا أن من الحماقة أن نظن أن الله يترجى هذه الأشياء ويدعوها . نخلص من هذا اذا — بصفة خاصة — ان الله يستخدم صيغة الأمر . وبالتالى نستطيع أن ندرك أن « ليكن نور » عبارة تفيد الأمر وليس التمنى.

ولما كانت الصلاة قد وصفت هذه الطلبة « ليتقدس اسمك » فى صيغة الأمر ، كان من الضرورى ان أشير الى انحراف ثاثيان فى التفسير لأن كثيرين قد انخدعوا بأقواله ، واقتفوا أثره فى تعاليمه الزائفة . وقد كانت لنا خبرة ليست بقليلة مع مثل هؤلاء الناس .

---

(١٦) تك ١ : ١١ و٩ و٢٠ و٢٤ .

الفصل الرابع

ليأت ملكوتك

ليأت ملكوتك :

« ان ملكوت الله — طبقا لكلمات الهنا ومخلصنا — لا يأتى بمراقبة ولا ينبغى للبشر أن يقولوا هاهو هنا أو هناك لأن ملكوت الله فى داخلنا » (١) « لأن الكلمة قريبة منا فى فمنا وفى قلبنا » (٢) . من هذا يتضح أن من يصلى لكى يأتى ملكوت الله ، انما يصلى بحق لكى يقام فى داخله ملكوت الله (٣) ويكمل ويأتى بالثمار المطلوبة . فكل قديس يخضع لسلطان الله كملك ، ويخضع لقوانين هذا الملكوت الروحية . وبذلك يحل فيه الله وكأنه يسكن فى مدينة منظمة . والاب لا يغيب عن هذا الملكوت ، وليس بعيدا عن الملك المسيح بل هو حاضر معه ، ويملك المسيح مع الاب فى هذه النفس التى تكمل طاعتها ، طبقا لكلمات الرب التى سبق أن ذكرناها منذ قليل : اليه نأتى وعنده نصنع منزلا (٤) .

ولهذا أعتقد أن المقصود بملكوت الله هو سيادة العقل والمشورة الصالحة ، كما يقصد بملكوت المسيح كلمات النعمة القادرة ان تخلص السامعين واعمال البر والفضائل الأخرى التى يمارسها الصديقون . لأن ابن الله هو الكلمة والبر والحق (٥) . ومن الناحية العكسية ، فان الخاطىء يخضع تحت نير عبودية رئيس هذا العالم (٦) لأن الخاطىء عند لهذا العالم الحاضر الشرير ما لم يقدم ذاته لذلك الذى بذل نفسه لأجل

---

(١) لو ١٧ : ٢٠ .
(٢) تث ٣٠ : ١٤ ورو ١٠ : ٨ .
(٣) مت ١٣ : ٢٣ ومر ٤ : ٢٠ ولو ٨ : ١٥ .
(٤) يو ١٤ : ٢٣ .
(٥) فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة يو ١ : ١ والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا يو ١ : ١٤ ومنه انتم بالمسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء ١ كو ١ : ٣٠ .
(٦) يو ١٢ : ٣١ و١٤ : ٣٠ و١٦ : ١١ .

خطايانا لينقذنا من هذا العالم الحاضر الشرير ويخلصنا حسب ارادة الله وابينا (٧) كما يعلمنا بولس الرسول فى رسالته الى أهل غلاطيـــة . والشخص الخاضع لعبودية رئيس هذا العالم ، يقع أيضا تحت سلطان الخطية لأنه يخطىء بارادته ، ولهذا يوصينا معلمنا بولس الا نخضع للخطية التى قد تسودنا فيقول لنا : لا تملكن الخطية فى جســدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته (٨) .

وبالنسبة لهاتين الطلبتين (١) ليتقدس اسمك . (٢) ليأت ملكوتك ، قد يقول قائل : اذا كان الانسان يصلى لكى تستجاب صلاته كما يحدث ذلك بالفعل فى بعض الأحيان ، فلا بد أن هناك من الناس من تجـاب صلاته فيتقدس من اجله اسم الله ويأتى من اجله ملكوته ثم يستطرد هذا المجادل قوله فاذا تحققت هذه الطلبات لأجله فكيف يسوغ له بعد ذلك أن يواصل صلاته عما تم وأنجز فعلا ، ويطلب هذه الطلبات وكأن هذه الأمور لم تكن أو لم تتحقق بالفعل ؟ أما يجب عليه فى هذه الحال أن يتوقف عن الصلاة ويمتنع عن طلبه « ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » .

وردا على هذا الاعتراض نقول أن المصلى من اجل كلمة المعرفة وكلمة الحكمة (٩) ، لا بد له ان يداوم على الصلاة من اجلهما بجدارة ، لأنه بالاستجابة سينال على الدوام رؤية أعظم وادراكا أعمق للمعرفة والحكمة . ومهما وصل فى درجات المعرفة والحكمة ، يعلم ان ما بلغه من هذا العلم انما هو معرفة جزئية فقط وان هذا هو ما يمكن ان يناله فى الوقت الحاضر ، أما الأمور الكاملة التى نستغنى بها عما هو جزئى فلا تنكشف لنا الا عندما يتأمل العقل الأمور الروحية وجها لوجه (١٠) دون الاستعانة بشىء من الحواس . ولهذا فالوصول الى الكمال فى تقديسنا لاسم الله وفى مجىء ملكوته ليس من الأمور الممكنة ما لم نبلغ كمال المعرفة والحكمة وربما بقية الفضائل أيضا . ولأجل ذلك نجاهد ونسعى نحو الكمال وعندما ننسى ما هو وراء ونمتد الى ما هو قدام (١١) يثبت ملكوت الله فينا تماما . عندما نواصل الجهاد ونتقدم فى القامة تتحقق فينا كلمة الرسول عن المســيح عندما يخضع له جميع الأعداء يسلم الملك لله الآب حتى يكون الله الكل

---

(٧) غل ١ : ٤ . (٨) رو ٦ : ١٢ .

(٩) ١ كو ١٢ : ٨ .

(١٠) لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ . ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض . لما كنت طفلا كطفل كنت اتكلم وكطفل كنت افطن وكطفل كنت أفتكر . ولكن لما صرت رجلا ابطلت ما للطفل . فاننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجها لوجه . الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت ١ كو ١٣ : ٩ — ١٢ .

(١١) فى ٣ : ١٣ .

فى الكل (١٢) . ولهذا نصلى بلا انقطاع (١٣) بقلوب تقدست بكلمة الله ونطلب الى أبينا الذى فى السموات : ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك .

وأكثر من هذا فيما يختص بملكوت الله ، فلا بد أن نأخذ فى اعتبارنا أمرا هاما . فكما أنه لا توجد شركة بين البر والاثم (١٤) ولا رفقة بين النور والظلمة ، ولا اتفاق بين المسيح وبليعال ، فكذلك أيضا لا يمكن أن تقوم مصالحة بين مملكة الخطية ومملكة الله . واذا كنا نريد أن نخضع تحت سلطان الله ، فلا يجب أن تملك الخطية فى جسدنا المائت (١٥) ولا يجب أن ننساق وراء حوافز الشر والخطية حين تدعو أرواحنا الى أعمال الجسد (١٦) وغيرها من الأفعال التى لا نصيب لله فيها ، ولكن علينا بالحرى أن نميت أعضاءنا التى على الأرض (١٧) لكى نأتى بثمر الروح (١٨) حتى يمشى الله فينا كما فى فردوس روحى (١٩) ويسود ملكا علينا مع مسيحه الذى يجلس فينا عن يمين القوة الروحية (٢٠) التى نصلى من أجل الحصول عليها . واذ يملك الرب علينا يجعل جميع أعدائه فينا موطئا لقدميه (٢١) ويقضى على كل رياسة وكل سلطان وكل قـوة فى داخلنا (٢٢) .

كل هذا يمكن أن يحدث لكل منا ويستمر فينا هذا الصراع الى أن يبطل العدو الأخير أى الموت (٢٣) ويقول المسيح فينا : أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية (٢٤) . وبهذا يلبس جسدنا الفاسد قداسة لأن الرب

---

(١٢) وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه . ولكن حينما يقول أن كل شىء قد أخضع فواضح انه غير الذى أخضع له الكل . ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضا سيخضع للذى أخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل ١ كو ١٥ : ٢٤ ــ ٢٨ .

(١٣) ١ تس ٥ : ١٧ . (١٤) ٢ كو ٦ : ١٤ . (١٥) رو ٦ : ١٢ .

(١٦) غل ٥ : ١٩ . (١٧) كو ٣ : ٥ .

(١٨) يو ١٥ : ٨ و١٦ وغل ٥ : ٢٢ .

(١٩) تك ٣ : ٨ و٢ كو ٦ : ١٦ .

(٢٠) مت ٢٦ : ٦٤ ومر ١٤ : ٦٢ ولو ٢٢ : ٦٩ .

(٢١) مز ١٠٩ : ١ وأش ٦٦ : ١ ومر ١٢ : ٣٦ ولو ٢٠ : ٤٣ وعب ١٠ : ١٣ وأع ٧ : ٤٩ .

(٢٢) ١ كو ١٥ : ٢٤ .

(٢٣) ١ كو ١٥ : ٢٦ .

(٢٤) هنا ادماج للايتين فى هو ١٣ : ١٤ و١ كو ١٥ : ٥٥ .

الذى بلا خطية قد البسه عفة ونقاوة ، وهذا المائت — اذ يغلب الموت . فلا بد أن يلبس خلود الآب (٢٥) وهكذا يملك الله فينا فنتمتع ببركات التجديد والقيامة (٢٦) .

---

(٢٥) لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ومتى لبس الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة ١ كو ١٥ : ٥٣ وما بعدها .

(٢٦) مت ١٩ : ٢٨ .

الفصل الخامس

لتكن مشيئتك

كما فى السماء كذلك على الأرض

لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض .

هذه الطلبة غير موجودة فى انجيل معلمنا لوقا بعد عبارة « ليأت ملكوتك » بل أعقبها مباشرة بقوله « اعطنا اليوم خبزنا الجوهرى جدا » الا أن هذا لا يمنع من أن نتأمل مليا فى هذه الكلمات التى وردت فى انجيل معلمنا متى فقط . وهذا هو موضعها بالترتيب الذى جاء فى الصلاة الربانية.

وما دمنا نحيا على هذه الأرض ، فنحن نعلم أن مشيئته تتم فى السماء بواسطة القوات السمائية ، ولذلك فنحن نصلى هذه الطلبة حتى تتم مشيئة الله على الأرض كذلك .. بواسطتنا . وتتحقق هذه الصلاة حين لا نأتى من الأفعال ما يتعارض مع مشيئة الآب ، وعندما نتمم على الأرض ارادة الله كما تتم فى السماء . ويترتب على هذا أن من الضرورى لنا أن نشابه السمائيين ويتم ذلك على قدر ما نحمل نحن — كما يحملون هم ايضا — صورة الآب السماوى (١) حتى نرث ملكوت السموات (٢) فتأتى الأجيال التى تعقبنا وتصلى هذه الطلبة عينها لكى يكونوا على شاكلتنا عندما نصير نحن فى السماء .

ولكن عبارة « كما فى السماء كذلك على الأرض » يمكننا أن نضمها ايضا الى بقية الطلبات . فنطلب فى صلواتنا على هذا المنوال : ليتقدس اسمك كما فى السماء كذلك على الأرض . ليأت ملكوتك كما فى السماء كذلك على الأرض . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض (٣) . فاسم الله

---

(١) ١ كو ١٥ : ٤٩ .

(٢) مت ٧ : ٢١ و ٢٥ : ٣٤ .

(٣) أقر مجمع ترنت *Treute* هذا التفسير الذى وضعه أوربجانوس وأمر باستخدامه .

يقدسه السمائيون ويمجدونه ، كما ان ملكوت الله قد أتى اليهم وكملت مشيئة الآب فيهم . وكل هذه الأمور تعوزنا على الأرض ، ولو اننا فى امكاننا أن نبلغها اذا اظهرنا ما يجعلنا جديرين بها وما يجعلنا مستحقين أن يستجيب لنا الله فى كل هذه الأمور .

وعندما نتأمل هذه الطلبة : لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، قد يسألنى سائل فيقول : وكيف تتم مشيئة الله فى السماء حيث توجد أرواح الشر (٤) الذين يجوز سيف الله عليهم .. حتى فى السماء ؟ (٥) فاذا كنا نصلى اذا أن تتم مشيئة الله على الأرض كما فى السماء ، السنا بذلك نصلى ضمنا أن تبقى على الأرض تلك الأرواح المعادية التى تأتى اليها من السماء لكى تقاوم عمل الرب ؟ وهناك كثيرون على الأرض ينقلبون الى الشر اذا انقلبوا من أرواح الشر التى تقيم فى اماكن سمائية !

وهنا ، لا بد لنا أن ندرك معنى كلمة السماء . وهذه الكلمة تشير رمزيا الى شخص المسيح ، كما أن كلمة الأرض تشير الى الكنيسة . لا يوجد من يستحق أن يكون عرشا للآب مثل المسيح ، ولا يمكن أن يكون هناك أرض مقدسة مثل الكنيسة تصلح أن تكون موطنا لقدمى الله (٦) . وبهذا التفسير يمكنا أن نصل الى حل العديد من المشكلات . فنحن نقول ان على كل عضو فى الكنيسة أن يصلى من اجل تحقيق مشيئة الآب ، كما فعل الابن القدوس الذى جاء لكى يصنع مشيئة الآب وحققها بالتمام والكمال (٧) . وعندما نلتصق نحن بالمسيح ونثبت فيه نصبح روحا واحدا معه (٨) وبالتالى ننجز مشيئة الله حتى تتم على الأرض كما تتم فى السماء. ويؤكد لنا معلمنا بولس هذه الحقيقة وهو يقول أن كل من يلتصق بالله هو روح واحد معه . اعتقد أن هذا التفسير — اذا تأملناه بعناية — ليس من السهل أن نغض الطرف عنه أو نضعه جانبا .

على اى حال ، قد يرفض البعض هذا المعنى . وهؤلاء لا بد أن نحيلهم الى كلمات مخلصنا له المجد كما جاءت فى نهاية انجيل معلمنا متى . فبعد قيامة الرب من بين الأموات ، اعلن للرسل الاثنى عشر : دفع الى كل

---

(٤) فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية فى السماويات أف ٦ : ١٢ .

(٥) اش ٣٤ : ٥ .

(٦) اش ٦٦ : ١ و اع ٧ : ٤٩ .

(٧) يو ٤ : ٣٤ و ٦ : ٣٨ و ١٧ : ٤ .

(٨) ١ كو ٦ : ١٧ .

(٩) مت ٢٨ : ١٨ .

سلطان فى السماء وعلى الأرض (٩) وحيث أن له السلطان على كل الذين فى السماء فهو يقول هنا أنه أخذ كذلك السلطان على كل من فى الأرض . ويجب ألا يغيب عنا أن الذين فى السماء هم الذين استناروا أولا بالكلمة (١٠) وفى نهاية العالم (١١) سوف يحاكيهم المؤمنون الساكنون على الأرض وذلك بالسلطان المعطى لابن الله ، فينتقلون الى مرتبة السمائيين — لأنهم يكملون فى السماء — ويخضعون لسلطان المخلص كما يخضع السمائيون أيضا. وكأن الرب — اذ يعلم تلاميذه هذه الصلاة — انما يجعلهم عمالا معه شركاء فى خدمته لأجل الآب ، حتى اذا ما خضع السمائيون للحق والكلمة (١٢) هكذا يسلك الأرضيون على نفس المنوال فيستقيمون ويطيعون الحق بسلطان الابن الكائن فى السماء وعلى الأرض . وبواسطة الابن أيضا يأتى هؤلاء الى النهاية السعيدة التى أعدها لكل الذين تحت سلطانه .

وهذا التفسير لا يتناقض فى الواقع مع التفسير السابق الذى يقول أن السماء تعنى المخلص الصالح وأن الأرض هى كنيسته . فاذا قلنا أن بكر كل خليقة (١٣) الذى يستريح عليه الآب كعرش هو نفسه السماء ، فلا شك أيضا أننا نلاحظ أن الانسان الذى أخذه (١٤) فى اتحاد كامل مع ذلك السلطان قد وضع به ذاته وأطاع حتى الموت (١٥) قال فى وحدانية طبيعته : قد دفع لى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فالانسان الكائن فى شخص الرب قد أخذ سلطانا على الذين فى السماء باعتبارهم أعضاء فى الابن الوحيد (١٦) حتى بعد ما شاركهم فى الجسد يوحدهم مع لاهوته ويجعلهم واحدا معه .

ومع ذلك فأمام هذا التفسير ما زالت توجد بعض المشاكل لم تجد لها حلا . فكيف تتم مشيئة الله فى السماء بينما نجد أجناد الشر الروحية فى السماويات ، تدخل فى صراع دائم مع سكان هذه الأرض ؟ ولكن هذا التساؤل قد نجد له الحل المناسب ، اذا لاحظنا الآتى :

+ ان الأمر لا يتوقف على الحيز أو المكان الذى يسكن فيه الانسان ، بقدر ما يتوقف على اتجاهات قلبه وميوله ، حتى أن الانسان وهو ما زال على الأرض جسديا يستطيع ان يكون مواطنا فى السماء ويستطيع ان يكنز

---

(١٠) يو ١ : ٩ .
(١١) مت ١٣ : ٤٠ .
(١٢) ١ بط ٣ : ٢٢ ويو ١ : ١ و١٤ و١٤ : ٦ و١٧ : ١٧ .
(١٣) كو ١ : ١٥ .
(١٤) أف ٤ : ٢٤ وكو ٣ : ١٠ .
(١٥) فى ٢ : ٨ .
(١٦) يو ١ : ١٤ و١٨ و٣ : ١٦ و١٨ و١ يو ٤ : ٩ .

كنوزه هناك (١٧) . وما دام قلبه فى السماء ويحمل صورة السماوى (١٨) فهو لم يعد بعد أرضيا من الأرض ولا من العالم السفلى (١٩) بل صار من السماء ومن العالم السمائى الذى يفضل هذا العالم بما لا يقدر أو يقاس . والعكس كذلك صحيح ، فأجناد الشر الروحية حتى ولو كانت تقيم فى السماويات (٢٠) الا أن موطنها الحقيقى هو الأرض . وهؤلاء يتآمرون على المؤمنين ويصارعونهم ، ولا يعنيهم أن يكنزوا كنوزهم الا على الأرض . يحملون صورة الترابى (٢١) الذى وان كان أول أعمال الله الا أنه صار هزءا للملائكة (٢٢) . اذا فهم ليسوا من السماء ، وليس لهم وطن فى السماوات بسبب ميولهم الشريرة .

لذلك ، اذا ما صلينا : لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، فلا يجب أن نظن أو نفكر فى اجناد الشر الروحية فى السماويات بل يجب ان نتذكر أن هؤلاء بسبب غرورهم قد سقطوا من رتبتهم مع ذاك الذى سقط من السماء كالبرق (٢٣) .

+ وعندما يقول المخلص أن من واجبنا أن نصلى من أجل مشيئة الآب فى السماء حتى تكون كذلك على الأرض فهو لا يوصينا على الاطلاق أن نطلب من أجل السمائيين حتى يشاكلوا الأرضيين ، بل بالحرى يريد فى هذه الصلاة عكس ذلك تماما ، أنه يطلب كل الكائنات على الأرض ، أى الأنواع الدنيا وكل الذين يتشبهون بالترابى أن يجاهدوا لكى يشابهوا ويشاكلوا من هم أفضل وأرقى ، أى الذين وطنهم فى السماء وصاروا هم أنفسهم سمائيين . لأن الخاطىء — اينما كان — هو أرض وتراب (٢٤) واذا لم يندم ويتوب ، فلا بد أن يجتاز — بطريقة ما — الى المكان الذى يتلاءم معه ويتجانس . أما من يعمل مشيئة الله ولا يخالف قوانينه الروحية التى تحكم للخلاص فهذا هو السماء وانسان السماء .

فان كنا ما زلنا ترابا بسبب الخطية فعلينا أن نصلى حتى تشملنا مشيئة الله من أجل اصلاحنا وتقويمنا كما فعلت بالذين سبقونا وصاروا سماويين . واذا كنا فى — عمل نعمة الله — لا نعتبر ترابا بل سماء بالحق فلنطلب اذا

---

(١٧) فى ٣ : ٢٠ ومت ٦ : ٢٠ وما بعدها .
(١٨) ١ كو ١٥ : ٤٩ .
(١٩) يو ٣ : ٣١ و٨ : ٢٣ و١٨ : ٣٦ .
(٢٠) اف ٦ : ١٢ .
(٢١) ١ كو ١٥ : ٤٩ .
(٢٢) أى ٤٠ : ١٤ .
(٢٣) لو ١٠ : ١٨ .
(٢٤) تك ٣ : ١٩ .

أن تكمل مشيئته على الأرض كلها ، وبعبارة اخرى ، أن تتم مشيئة الله بين الأنواع الدنيا على الأرض كما تحققت فى السماء حتى تصير الأرض سماء ويأتى اليوم الذى لا تكون فيه هناك أرض بعد بل يصير الكل سماء . اى انه عندما تتم مشيئة الله كما فى السماء كذلك تتم على الأرض فلن تكون الأرض بعد ذلك أرضا .

وزيادة فى الايضاح أقول : اذا عملت نعمة الله فى الخطاة والمنحرفين كما تعمل فى الأبرار والقديسين فسوف يصير الأشرار أبرارا ويتحول الخطاة الى قديسين . وعلى نفس القياس ، اذا تمت مشيئة الله كما فى السماء كذلك على الأرض فسوف نتحول جميعا الى سماء . الجسد لا يفيد شيئا . والدم الذى يرتبط بالجسد لا يمكن أن يرث ملكوت الله (٢٥) أما اذا تغيرنا عن الجسد والتراب وتحولنا عن الأرض والدم لكى نصير جوهرا سمائيا ، حينئذ يليق بنا القول أننا سنرث السماء .

---

(٢٥) يو ٦ : ٦٤ مع ١ كو ٦ : ٩ وما تعدها و ١٥ : ٥٠ .

الفصل السادس

خبزنا الجوهرى جداً

خبزنا الجوهرى أعطنا اليـــوم ، أو كما يقول معلمنا لوقا ، خبزنا الجوهرى أعطنا كل يوم (١) .

وقد تصور البعض ــ فى هذه العبارة ــ أننا مطالبون بالصلاة من أجل المـــادى أو الطعام . ولهذا يحسن بنا فى هذا المجال أن ندحض هذا الرأى الخاطىء ، وأن نبرز وجه الحقيقة فيما يختص بالخبز الجوهرى . ويكفينى فى هذه العجالة أن أسأل أصحاب هذا الرأى : كيف يوصينا الرب أن نطلب من اجل الخيرات السمائية والعظمى ، ثم يعلمنا فى هذه الصلاة أن نلتمس من الآب أن يعطينا الأمور الصغيرة الأرضية ، وكأنه بذلك قد نسى ما سبق أن علمنا اياه ؟ لأن الخبز الذى يعطيه لنا من أجل حاجات الجسد لا هو من الأمور السمائية ، ولا يعد من المطالب الكبرى .

الخبز الحقيقى

أما من جهتى فسوف أتناول هذا الموضوع بشىء من الافاضة والتفصيل، مقتفيا أثر السيد نفسه وهو يعلمنا عن الخبز . ففى انجيل معلمنا يوحنا يوجه الرب خطابه الى الجماهير التى أتت اليه من كفر ناحوم بحثا عنه : الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم (٢) اذا فكل من أكل من الخبز الذى باركه يسوع وشبع منه ، حاول أن يدرك ابن الله أكثر من ذى قبل ، وأن يسرع اليه ، ولهذا كانت وصية الرب التى تدعو الى الاعجاب : اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام البـــاقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان (٣) . والذين كانوا يسمعون هذا

---

(١) مت ٦ : ١١ ولو ١١ : ٣ .

(٢) يو ٦ : ٢٦ .

(٣) يو ٦ : ٢٧ .

الحديث ، عندما سألوه قائلين : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله (٤) والآن هوذا الرب قد أرسل كلمته وشفاهم ، أى المرضى كما جاء فى المزامير (٥) . فالذين يؤمنون بالكلمة يفعلون أعمال الله لأنه هو الخبز الباقى الذى للحياة الأبدية . ويقول ايضا : وأبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم (٦) . هذا الخبز الحقيقى هو الغذاء الكامل للانسان الأمين المخلوق على صورة الله (٧) . وبفضل هذا الخبز الذى يتغذى به يصير الى صورة الله الذى خلقه . وهل هناك ما يفوق الكلمة غذاء للروح ؟ لا يوجد ما يفوق حكمة الله قيمة للعقل الذى يدركها ، وليس هناك ما هو أجدر من الحق تجاوبا مع الطبيعة العقلية .

ولرب معترض يقول : اذا كان المسيح يوصينا أن نطلب الخبز الجوهرى جدا ، فلماذا ترك الفرصة سانحة لنا أن نفهمه على أنه نوع آخر من الخبز ؟ ولا بد لنا أن نلاحظ فى حديث الرب فى انجيل القديس يوحنا أنه يتكلم احيانا عن الخبز باعتباره شيئا آخر غير المسيح نفسه ، بينما فى آيات أخرى يصرح فيها بأن هذا الخبز هو ذات المسيح . ولنأخذ مثالا للنوع الأول : موسى أعطاكم خبزا من السماء ، ليس الخبز الحقيقى ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء (٨) ولكن عندماطلب اليه البعض : اعطنا فى كل حين هذا الخبز ، أجابهم مشيرا الى ذاته قائلا : أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا (٩) وبعد ذلك بقليل يقول : أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . ان أكل احد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم (١٠) .

والكتاب المقدس يشير دائما الى الطعام بكلمة « الخبز » كما يتضح مما كتب عن موسى أنه لم يأكل خبزا أو يشرب ماء طوال أربعين يوما (١١) . وغذاء الكلمة متعدد متنوع ومتفاوت لأنه لا يستطيع كل انسان أن يأكل الطعام القوى الصلب الذى يعطيه التعليم الالهى . ولهذا فقد أراد المخلص أن يعطى طعام الرياضيين لمن يتفوقون فى الكمال ، فيقول : والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم (١٢) . وبعد ذلك يقول :

---

(٤) يو ٦ : ٢٨ وما بعدها .
(٥) مز ١٠٦ : ٢٠ .
(٦) يو ٦ : ٣٢ — ٣٣ .
(٧) تك ١ : ٢٦ وما بعدها وكو ٣ : ٩ وما بعدها .
(٨) يو ٦ : ٣٢ .
(٩) يو ٦ : ٣٥ .
(١٠) يو ٦ : ٥١ .
(١١) يو ٦ : ٥٢ .
(١٢) تث ٩ : ٩ .

ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا اقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى وأنا فيه . كما أرسلنى الاب الحى وأنا حى بالاب فمن يأكلنى فهو يحيا بى (١٣) . هذا — اذا — هو الطعام الحقيقى : جسد المسيح الذى وهو الله الكلمة صار جسدا حسب المكتوب « والكلمة صار جسدا » وعندما ناكله ونشربه يسكن فى وسطنا ، وعندما يقسم ويوزع يتم المكتوب ورايا مجده (١٤) . لأن هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، ليس كما اكل آباؤكم وماتوا . من يأكل هذا الخبز يحيا الى الأبد (١٥) .

ويتحدث معلمنا بولس ايضا عن الطعام مع اهل كورنثوس ، الذين كانوا ما زالوا أطفالا سالكين حسب الانسان فيقول : سقيتكم لبنا لا طعاما لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن ايضا لا تستطيعون لأنكم بعد جسديون (١٦) . وفى رسالته الى العبرانيين يقول : وصرتم محتاجين الى اللبن لا الى طعام قوى لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل . واما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر (١٧) وفى رأيى أن قول الرسول : واحد يؤمن أن يأكل كل شىء ، ولكن الضعيف يأكل بقولا (١٨) لا يقصد فى الأصل طعام الجسد بل لعله يقصد كلمة الله التى تعطى غذاء الروح (١٩) فالمؤمن الحقيقى الناضج يستطيع ان يأكل كل شىء كما يتضح من قوله ان واحدا يؤمن ان يأكل كل شىء . أما الضعيف والناقص فيقنع ويكتفى بالتعاليم البسيطة التى لم تبلغ من القوة ما يملأه غيرة وحماسة . ولعل معلمنا بولس كان يضع مثل هذا الانسان نصب عينيه وهو يقول أما الضعيف فيأكل بقولا .

وما قاله سليمان فى الأمثال ، أعتقد انه يعلمنا أن الانسان الذى — بسبب بساطته ولكن دون افكار شريرة — لا يستطيع ان يستوعب المبادىء الهامة والتعاليم القوية انما يحتل وضعا افضل ومكانة ارقى من انسان آخر يفوقه كفاءة وذكاء وادراكا للامور لا لشىء الا لأن الأخير لا يستطيع ان يستشعر الوحدة أو نعمة السلام فى هذا الوجود . فهو يقول : آكلة من البقول حيث تكون المحبة (والنعمة) خير من ثور معلوف ومعه بغضة(٢٠) .

---

(١٣) يو ٦ : ٥٤ — ٥٧ .
(١٤) يو ١ : ١٤ .
(١٥) يو ٦ : ٥٩ .
(١٦) ١ كو ٣ : ٢ — ٣ .
(١٧) عب ٥ : ١٢ — ١٤ .
(١٨) رو ١٤ : ٢ .
(١٩) مت ٤ : ٤ وتث ٨ : ٣ .
(٢٠) أم ١٥ : ١٧ .

فالسخاء البسيط المقتصد ولكنه يقدم بضمير صالح كثيرا ما يروق لنا ونستمتع به أكثر من الضيف الذى يحتفى بنا ولكنه لا يستطيع أن يقدم أكثر من هذا ؛ أحاديث جزلة ورصينة ولكنها تحاك ضد معرفة الله ، وتدار المناقشة باحكام واقناع لتوحى الينا بتعاليم غريبة تغاير وتتنافر مع ناموس أبى ربنا والهنا يسوع الذى اعطانا الناموس والأنبياء (٢١) .

اذا فلكى لا تصاب أرواحنا بالعلل والأسقام بسبب افتقارها الى الطعام، ولكى لا نموت لله بسبب الجوع الى كلمة الله (٢٢) علينا أن نسأل الأب من اجل الخبز الحى . الخبز الجوهرى جدا حتى نسلك فى الطاعة لتعاليم مخلصنا الصالح ، وحتى نحيا حياة افضل فى ايمان أعظم .

الجوهرى جدا Supersubstantial

والآن ننتقل الى دراسة المقصود من كلمة الجوهرى جدا supersubstantial والأصل اليونانى لكلمة هو epiousios اى supersubstantial اى الجوهرى جدا وهذا اللفظ ليس من الكلمات الشائعة عند اليونان ، بل ولم يرد فى كتابات الفلاسفة ولا يستخدم فى اللغة الدارجة بين الناس . ويبدو أن هذه الكلمة قد اضطر الانجيليون الى صياغتها خصيصا للتعبير عن المعنى الذى يقصدونه . على الأقل يتفق القديسان متى ولوقا على استعمال هذا النص . وهذا ليس بالأمر المستحدث او الغريب ، فقد لجأ مترجمو النصوص العبرية الى مثل هذا فى ترجمة بعض العبارات الأخرى مثل enotizou او akoutistheti اى اصغ او اسمع فى اذنك .

على اى حال ، فهناك كلمة اخرى تشبه epiousios الى حد كبير وقد تشترك معها فى الأصل اللغوى ، وقد وردت هذه الكلمة periousios فى اسفار موسى اذ يقول الله لشعبه : وانتم لى شعبا خاصا (٢٣) periousios . واعتقد ان اشتقاق الكلمتين يرجع الى الأصل ousia اى جوهر وعلى هذا تشير الكلمة الأولى الى الخبز متحدا بجوهرنا او مادتنا ousia والثانى تشير الى الشعب ساكنا مع او ملتصقا بجوهر ousia الله او مادته ومشتركا فيها .

وكلمة ousia فى معناها الدقيق لا تشير من قريب او بعيد الى كيان مادى او جسدى . وقد استعملها على هذا المعنى الفلاسفة الذين يؤكدون

---

(٢١) ٢ كو ١٠ : ٥ ومت ٥ : ١٧ . (٢٢) عا ٨ : ١١ ورو ١٤ : ٨ .
(٢٣) فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب خر ١٩ : ٥ .

أن جوهر الوجود أى الحقيقة الأولى لا بد وأن تكون غير مادية (٢٤) لأن هذه الحقيقة الأولى أو مبدأ الوجود أو علته يتميز بوجود لا يقبل التغيير ولا يجوز عليه النقص أو الزيادة . فالتعرض للزيادة والنقص من خصائص الأشياء المادية التى قد تحتاج الى ما يدعمها ويغذيها بسبب ما يعتريها من تحول أو تغير . فاذا حصلت — فى وقت ما — على أكثر مما تفقد فانها تزداد أما اذا حدث العكس فلا بد أن تنقص . وكذلك ايضا قد لا تتلقى المادة أية اضافة من الخارج وفى هذه الحالة نقول أنها فى حالة تناقص بحت أو مجرد .

الا أن بعض المدارس الفلاسفية تختلف مع هذا الرأى . فترى أن الحقيقة غير المادية انما هى أمر ثانوى بالنسبة للوجود المادى . ولهذا يختلف عند هؤلاء (٢٥) تعريف كلمة ousia فيقولون أنه يقصد بها المادة الأولى للوجود التى تستمد منها جميع الموجودات وجودها . أنها مادة وأصل الوجود المادى كله وبها تصبح هذه الأشياء المادية كائنة وموجودة . انها مادة جميع المسميات التى بها يصبح لها وجود أنها المبدأ المطلق لكل الموجودات والسابق عليها . أنها المادة التى تقبل كل تحول وتغير . وان كانت حيث جوهرها وكيانها المدرك **لا تتغير ولا تتحول ، فهى المادة التى** تبقى وتثبت خلال وعبر كل تغير وتحول . وطبقا لما تنادى به هذه الفلسفات فان ousia (٢٦) تدل على جوهر غير محدود ليس له شكل أو حجم ولكنه عرضة لأن يتخذ أى شكل من الأشكال فيتحدد بصورة أو بأخرى . وفى علوم المعانى واللغة يقصد بالتحديد determination تلك الأفعال والعمليات التى ترتبط فيها الحركات والميول بصفة عامة . وهم يعتقدون أيضا أن الجوهر ousia فى مفهومه الصحيح من حيث هو جوهر لا يختلط بأى من هذه الأشياء أو يشترك فى طبيعته . ولكنه فى نفس الوقت — بسبب سلبيته — لا يمكن فصله أبدا عن أى منها . بل يتقبل كل العمليات التى تؤديها أية قوة كيفما كانت حتى تتفاعل معه وتحوله عن شكله . لأن

---

(٢٤) من أهم المدارس الفلسفية التى تنادى بهذا الرأى فلسفة أفلاطون .

(٢٥) ومن هذه المدارس الفلسفية مدرسة الذريين Atomists والمدرسة الأبيقورية Epicureans التى جعلت من اللذة غاية للحياة وعلى نقيضها مدرسة الرواقيين Stoics ولكنها ضمن هذه المجموعة التى يتحدث عنها أوريجانوس هنا .

(٢٦) يجب أن نتذكر أن هذه الكلمة لعبت دورا كبيرا فى المناقشات التى دارت فى القرن الرابع الميلادى خصوصا بين القديس اثناسيوس الرسولى وبين أريوس حول طبيعة المسيح واستقر رأى المجمع المقدس فى نيقية سنة ٣٢٥ على استخدام كلمة Homo-ousion المساوى فى الجوهر: Consubstantial

القوة (٢٧) الكامنة التى تلازم الجوهر وتسيطر على كل الأشياء هى علة كل صورة أو تحديد كما أنها علة كل العمليات التى تتصل بهذا التحديد determination . ويقولون كذلك أن الجوهر ousia المادى قابل للتغير تماما كما انه يقبل التجزئة والتقسيم ، وان كل جوهر يمكن ان يندمج أو يتحد مع اى جوهر آخر لكى يصير واحدا معه .

كان لا بد لى أن استعرض المدلولات المختلفة لكلمة الجوهر ousia حتى تكتمل فى اذهاننا ابعاد هذا التعبير الذى جاء فى وصف الخبز الجوهرى epiousios وفى وصف الشعب الخاص periousios . وقد بينا فيما سبق أن الخبز الذى يجب علينا أن نلتمسه هو الخبز الروحى لأن الجوهرى هنا تشير الى أصل وطبيعة هذا الخبز . فالخبز المادى يستخدم لأجل جسد الانسان الذى يأكله فيدخل فى مادته وجوهره . كذلك الخبز الحى النازل من السماء (٢٨) اذ يقدم طعاما للعقل والروح يعطى نصيبا من فعاليته وقوته الخاصة الطبيعية لكل من يأكل منه . هذا هو الخبز الجوهرى جدا الذى نصلى لأجله .

وكما قلنا — من جهة الطعام ونوعه — أن هناك الطعام القوى الذى يناسب الرياضيين الأقوياء ، فهناك أيضا اللبن ونبات الأرض (٢٩) . وعلى نفس القياس نجد أن الذين يتناولون الطعام يتفاوتون قوة وضعفا ويترتب على ذلك أن كلمة الله قد تعطى للضعفاء بطريقة مناسبة كما يعطى اللبن للاطفال ، كما قد تعطى للمجاهدين والمصارعين كطعام دسم قوى . ويستطيع الانسان أن يكون ضمن هذا الفريق أو ذاك بقدر ما يسلم نفسه لسلطان الكلمة قوتها . ولا بد لنا أن نتذكر أيضا أن ليس كل ما يسمى طعاما للبنيان ، فقد يكون فى حقيقة الأمر ضارا ، وبعضه قد يحمل الأمراض ، والبعض الآخر قد يستحيل على المرء أن يتناوله (٣٠) . كل هذا يجب أن نأخذه فى الاعتبار ونحن ندرك ذلك الخلاف وذلك التضارب بين التعاليم المختلفة التى قد يظن البعض أنها نافعة .

فالخبز الجوهرى اذا هو ذلك الذى يوافق الطبيعة العاقلة ويتفق مع نفس مادتها ، ولذلك فهو يكسب الروح صحة ونضارة وقوة كما يمنح كل من يأكله شيئا من قوته الجوهرية اى خلوده الخاص لأن كلمة الله أزلى أبدى .

---

(٢٧) كلمة togos تعبير رواقى بمعنى قوة او طاقة Force or tension

(٢٨) يو ٦ : ٥١ .

(٢٩) عب ٥ : ١٢ وما بعدها ورو ١٤ : ٢ .

(٣٠) ٢ مل ٤ : ٤٠ .

وهذا الخبز الجوهرى — كما يبدو لى — يطلق عليه فى الكتاب المقدس اسم آخر هو : شجرة الحياة فاذا مد انسان يده اليها واخذ منها وكل حيا الى الأبد (٣١) وقد أعطيت هذه الشجرة اسما آخر هو حكمة الله التى قال عنها سليمان انها شجرة حياة لمن يمسك بها (٣٢) وأمان لمن يتكل عليها كما يتكل على الله . والملائكة تتغذى على حكمة الله فينالون قوة لانجاز الأعمال التى تناط بهم ، ويحصلون على هذا الغذاء بالتأمل فى الحق والحكمة . لذلك يحدثنا سفر المزامير عن طعام الملائكة وعن أولاد الله اى العبرانيين الذين يشاركون الملائكة طعامهم ويصيرون رفاق هذه المائدة السامية ولهذا قيل اكل الانسان خبز الملائكة (٣٣) . وبطبيعة الحال لا يمكن أن يتهافت بنا الذهن حتى نظن أن الملائكة قد اشتركوا اطلاقا فى مائدة مادية أو اكلوا طعاما من اى نوع حتى ولو كان ذلك الطعام الذى قيل عنه انه نزل من السماء على الذين خرجوا من أرض مصر (٣٤) كما لا يمكننا أن نظن أن ذلك الطعام هو نفس الخبز الذى شارك العبرانيون فيه الملائكة مع انها الأرواح المقدسة لخدمة الله (٣٥) .

وما دمنا بصدد المعانى التى تدل عليها هذه العبارات : الخبز الجوهرى وشجرة الحياة وحكمة الله والطعام الذى اشترك فيه الملائكة والناس . فيمكننا أن نستكمل هذه الدراسة اذا وضعنا على بساط البحث تلك القصة التى رواها لنا سفر التكوين عن الرجال الثلاث الذين استضافهم ابراهيم واكلوا من الثلاث كبلات من الدقيق السميذ التى عجنت وصنعت كعكا وخبزت على النار (٣٦) . هل كانت هذه الحكاية قصة رمزية أم حقيقة واقعة ؟ فالقديسون يستطيعون احيانا أن يشاركوا فى الطعام الروحى والعقلى لا مع البشر وحدهم بل مع القوات السمائية كذلك . والملائكة تصنع هذا احيانا من باب المعونة والمساعدة والتشجيع . واحيانا اخرى لكى يبينوا ويكشفوا عن الطعام الممتاز الذى امكنهم أن يعدوه لأجل هؤلاء القديسين . والملائكة يملأهم السرور والفرح بل وتتغذى بمثل هذا التعاطف والتجاوب وتصبح اكثر استعدادا للتعاون بكل وسيلة وبالتالى تقدم جهودها حتى تتيح فهما أعمق وادراكا أوسع لكل الذين يستهويهم التناول من الشرائع النافعة المغذية التى كانت طعاما للملائكة قبل ان يشترك معهم الأرضيون. ولا عجب كذلك اذا قلنا أن الانسان بدوره يستطيع أن يقدم غذاء للملائكة .

---

(٣١) تك ٢ : ٩ و ٣ : ٢٢ ويو ٥ : ٢٤ .

(٣٢) هى (الحكمة) شجرة حياة لممسكيها والتمسك بها مغبوط أم ٣ : ١٨ .

(٣٣) مز ٧٧ : ٢٥ .

(٣٤) خر ١٦ : ١٥ ومز ٧٧ : ٢٤ .

(٣٥) عب ١ : ١٤ .

(٣٦) تك ١٨ : ٢ — ٦ .

والمسيح نفسه يعلن بانه واقف على الباب ويقرع حتى يدخل عند من يفتح له ويتعشى معه (٣٧) ، وهكذا يعطى من ذات نفسه للانسان الذى سبق أن فتح لابن الله واطعمه على قدر طاقته .

ومن يأكل من الخبز الجوهرى يقوى قلبه ويصبح ابنا لله (٣٨) أما من يشترك مع الوحش فليس سوى عبدا روحيا (٣٩) يتحرك فى شباك الوحش الى حية حتى لو طلب ظاهريا رغبته فى العماد فلا بد أن يسمع توبيخ الكلمة : ايها الحيات أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى عليكم (٤٠) ويتكلم داود النبى عن جسد الوحش الذى يأكله العبيد فيقول : كسرت رءوس التنانين على المياه ، أنت كسرت رأس الوحش « لوياثان » جعلته طعاما للشعب لأهل البرية (٤١) . فاذا كان ابن الله موجودا وجودا جوهريا وكذلك عدو الخير (٤٢) فلا غرابة — اذا — اذا صار كل منهما طعاما لهذا الانسان أو ذاك . وبالتالى فلا أتردد فى الاعتراف بهذه الحقيقة أن كلا منا يستطيع ان يتغذى وأن يتناول أيا من هذه القوى جميعا ، خيرا أو شرا . ولذلك نرى أن معلمنا بطرس قبل أن يرافق كرنيليوس قائد المائة وكل الذين كانوا معه فى قيصرية وبالتالى يشترك فى كرازة الله للامم ، رأى اناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة باربعة أطراف ومدلاة على الأرض وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات (٤٣) وعندما قيل له أن يقوم ويذبح ويأكل تنحى قائلا : أنت تعلم انى لا آكل قط دنسا أو نجسا (٤٤) ومن هذا تعلم الا يدعو انسانا دنسا أو نجسا لأن ما طهره الله لا ينبغى لبطرس أن ينجسه ويقول الكتاب بالنص : ما طهره الله لا تدنسه أنت (٤٥) وهكذا يزول ذلك التمايز الذى حدده ناموس موسى بالنسبة للحيوانات من حيث كونها طعاما طاهرا أو نجسا . فاذا أخذنا هذا التعليم اشارة الى الكائنات العاقلة فانه يعطينا درسا بالغ الاهمية ، فبينما بعض الاخوة يمكن ان ينتفع منهم الآخرون كغذاء نافع ، نجد أن البعض الآخر على العكس من ذلك لا فائدة فيهم حتى يطهرهم الله وينقيهم ويجعل منهم خبزا نافعا من كل جنس وكل نوع (٤٦) .

---

(٣٧) رؤ ٣ : ٢٠ .
(٣٨) مز ١٠٣ : ١٥ و١ تس ٣ : ١٣ ويع ٥ : ٨ .
(٣٩) مز ٧٣ : ١٤ ورا ١٢ : ٣ — ١٧ ، ١٣ : ٢و٤و١١ ، ١٦ : ١٣ ، ٢٠ : ٢ .
(٤٠) مت ٣ : ٧ ولو ٣ : ٧ .
(٤١) مز ٧٣ : ١٣ — ١٤ .
(٤٢) ٢ تس ٢ : ٣ وما بعدها و١ تى ٥ : ١٤ .
(٤٣) أع ١٠ : ١ و٢٢١ وما بعدها و٢٤ و٢٧ و١١ : ٥ وما بعدها .
(٤٤) أع ١٠ : ١٤ وما بعدها و١١ : ٧ .
(٤٥) أع ١٠ : ٢٨ و١٥ ، ١١ : ٩ .
(٤٦) مت ١٣ : ٤٧ .

وما دام الأمر كذلك ، وهناك اختلاف فى أنواع الطعام وجدواها ، فاننا نستخلص من ذلك أن الخبز الجوهرى نوع فريد يرتفع ويتسامى على كل الأنواع التى أوردنا ذكرها . وبالتالى ينبغى أن نصلى حتى نكون جديرين بهذا الخبز مستحقين للتناول منه ، وأن نتغذى بكلمة الله الذى كان فى البدء عند الله (٤٧) حتى نصير فى عداد السمائيين .

اليـــوم

ولكى ندرك هذا النص لا بد لنا أن نعود الى كلمة epiousios لأن من المحتمل جدا أن تكون مشتقة من الفعل اليونانى epienai (٤٨) . ومن هذا نجد أننا مطالبون أن نسأل من أجل الخبز الذى يخص الدهر الآتى ، وبالتالى فاستجابة هذه الطلبة تعنى أن الله يعطينا هذا الخبز قبل أوانه ، فما كان ينبغى نعطاه فى الغد يعطى لنا اليوم . وكلمة اليوم يقصد بها الزمان الحاضر كما أن الغد يشير الى الدهر الآتى . وفى رايى — على الأقل — أن المعنى الأول أفضل ، ويتضح ذلك اذا أمعنا النظر فيما تعنيه كلمة اليوم semeron التى يستخدمها القديس متى ، وعبارة كل يوم kath hemeran التى وردت فى انجيل القديس لوقا .

وفى أماكن كثيرة من الكتاب المقدس ، جرى العرف على استخدام كلمة اليوم بمعنى الزمان الحاضر كله (٤٩) كما يقول مثلا : وهو أو الموآبيين الى اليوم . وهو أبو بنى عمون الى اليوم . أو فشـــاع هذا القول عند اليهود الى هذا اليوم (٥٠) ويقول كذلك فى سفر المزامير : اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم (٥١) وكذلك يقول : فلا نرجع عن الرب فى أيام هذا الزمان (٥٢) Depart not from the Lord in the days of this day

واذا كان « اليوم » يعنى كل الزمان الحاضر ، فالأمس — بالتالى — يشير الى الزمن الماضى . ولعل هذا هو المعنى المرجح فى تفسير المزامير أو رسالة معلمنا بولس الى العبرانيين اذ جاء فى المزامير : لأن الف سنة فى عينيك مثل يوم امس بعد ما عبر (٥٣) . ولهذا ايضا فانى أعتقد أن الألف سنة المشهورة تدخل فى هذا الموضوع . ففى هذا المزمور يقارن المرتل بين اليوم والأمس الذى اندثر بالنسبة لليوم . ويقول القدس بولس : يسوع

---

(٤٧) يو ١ : ١ .

(٤٨) المصدر epiousios بمعنى الذى للغد ونجد هذا التعبـــير فى بعض ترجمات الكتاب المقدس .

(٤٩) تك ١٩ : ٣٧ و٣٨ .

(٥٠) مت ٢٨ : ١٥ .

(٥١) مز ٩٤ : ٨ .

(٥٢) يش ٢٢ : ٢٩ (الترجمة السبعينية) .

المسيح هو أمس واليوم والى الأبد (٥٤) . وليس غريبا على الله اطلاقا أن الزمن بأسره لا يعنى أكثر مما تعنيه فترة اليوم بالنسبة لنا . وقد يقل عن ذلك أيضا .

وهذا يقودنا بدوره الى نظرة عاجلة — يقتضيها هذا البحث — فى معانى الأعياد والاحتفالات ما دامت تقترن بالأيام والشهور أو المواسم والسنين وفيما تدل عليه من دهور وأزمنة .

فاذا كان الناموس هو ظل الأمور المستقبلة (٥٥) ، فلا بد أن تكون السبوت الكثيرة اذا هى ظل الأيام العظيمة المباركة ، تماما كما يكتمل القمر الجديد فى فترات محددة من الزمن ، مثلا عندما يتفق مرور قمر ما مع مرور شمس خاصة ، وان كنت لا أعرف أيا منها . فلدينا مثلا فى الشهر الأول من اليوم الحادى عشر الى اليوم الرابع عشر ، ومن الرابع عشر الى اليوم الحادى والعشرين عيد الفطير (٥٦) كلها ظلال الأمور المقبلة ولا يستطيع أن يميز مغزى الأول فى الشهور ، ومعنى اليوم العاشر . وهكذا الا الحكيم (٥٧) المحب لله (٥٨) وأظن أنه لا حاجة بى أن أتكلم عن عيد السبع أسابيع من الأيام (٥٩) او عن الشهر السابع الذى يطلق على يومه الأول عيد الأبواق واليوم العاشر يوم الكفارة (٦٠) . الله وحده هو الذى حدد هذه الأوقات ورسم هذه الأعياد ، وهو أيضا الذى يعلم معناها . هل هناك ذلك الانسان الذى له فكر المسيح جيدا حتى يدرك معنى السنة السابعة والحرية التى كانت تمنح للعبيد العبرانيين (٦١) ، والتنازل عن الديون ووقف زراعة الأرض المقدسة (٦٢) ؟ وفى قمة هذه السنوات السباعية هناك عيد اليوبيل (٦٣) . لا يستطيع أحد أن يقترب من ادراك معناها بالضبط ، أو المدلول الحقيقى الذى تشير اليه الا القدوس الذى يعرف مشيئة الآب وارادته لأجل كل زمان طبقا لأحكامه التى لا تفحص وطرقه التى لا يمكن استقصاؤها (٦٤) .

طالما ساورتنى الحيرة وأنا اتابع كلمات الرسول واضعها جنبا الى جنب عسى أن ادرك كيف يمكن أن تكون هناك نهاية للدهور التى ظهر فيها

---

(٥٣) مز ٨٩ : ٤ . (٥٤) عب ١٣ : ٨ . (٥٥) عب ١٠ : ١ .
(٥٦) خر ١٢ : ٢ — ١٨ . (٥٧) هو ١٤ : ١٠ .
(٥٨) يع ٢ : ٢٣ . (٥٩) تث ١٦ : ٩ وما بعدها .
(٦٠) لا ١٦ : ٢٩ وما بعدها و٢٣ و٢٤ و٢٧ .. الخ .
(٦١) خر ٢١ : ٢ .
(٦٢) لا ٢٥ : ٤ وما بعدها وتث ١٥ : ١ وما بعدها .
(٦٣) لا ٢٥ : ٨ وما بعدها و٢٧ : ١٧ وما بعدها .
(٦٤) رو ١١ : ٣٣ .

الرب يسوع لكى يبطل الخطية (٦٥) . ولمرة واحدة فقط . فهناك أجيال أخرى ستأتى وتتعاقب بعد هذا الجيل . تأمل معى قول الرسول فى رسالته الى العبرانيين : ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه ، وفى الرسالة الى افسس : ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا (٦٦) .

فى هذا التساؤل الذى يضم عددا من الأمور . اعتقد أن السنة كما تنتهى فى الشهر الأخير لكى تبدأ بعد ذلك سنة جديدة وشهرا جديدا فقد يكون القياس صالحا فى تتابع الأجيال . وكاننا نجوز سنة من الأجيال تكمل كلها فى هذا الزمان الحاضر ، وتبدأ بعد ذلك أجيال جديدة أولها الدهر الآتى وفى هذه الأجيال القادمة سوف يظهر الله غنى نعمته الفائق باللطف ، والانسان الذى سقط فى أعماق الخطية بالتجديف على الروح القدس (٦٧) سيظل تحت سلطان الخطية طوال الزمان الحاضر كله . والدهر الآتى من بدايته الى نهايته .. وبعد ذلك هل يحصل على الخلاص بطريقة لا أستطيع أن أقدم لها تعليلا ؟ !

ومن أدرك هذه الأمور ، عليه أن يتأمل مليا « أسبوع » الأجيال حتى يستطيع أن يصل الى رؤية سبت مقدس ما . واذا تأمل « شهرا » من الأجيال فقد يرى القمر الجديد المقدس الذى لله ، وهكذا يقوده التأمل فى « سنة » الأجيال الى امعان النظر فى أعياد هذه السنة التى يتراءى فيها جميع الذكور أمام الرب الاله (٦٨) . والذى يتأمل السنوات التى تساير هذه الأجيال العظيمة ، يستطيع أن يدرك السنة السابعة المقدسة ، وأسبوع الأسابيع من سنى الدهور فيسبح الله الذى رتب هـذه الأمور بطريقة عجيبة . مثل هذا الانسان لا يمكنه أن يتهاون فى أصغر جزء من الساعة فى يوم من أيام هذا الجيل العظيم .

يجدر به أن يبذل كل ما فى طاقته حتى يتناول من الخبز الجوهرى كل يوم ، ويعد نفسه دائما حتى يكون مستحقا للتناول منه اليوم . وعلى هذه الصورة يمكنا أن نفهم معنى العبارة « كل يوم » . فالذى يصلى — اليوم — لله الأزلى الأبدى لا يطلب من أجل اليوم فحسب بل من أجل كل يوم . وفى نفس الوقت يتاقى من القادر أن يعطى أكثر بكثير مما نريد أو نفتكر (٦٩) . عطايا — اذا استطاعت صيغة المبالغة أن تصفها — أعظم وأروع مما لم

---

(٦٥) عب ٩ : ٢٦ .
(٦٦) اف ٢ : ٧ .
(٦٧) مت ١٢ : ٣٢ ومر ٣ : ٢٩ ولو ١٢ : ١٠ .
(٦٨) تث ١٦ : ١٦ .
(٦٩) اف ٣ : ٢٠ .

تره عين ، وما لم تسمع به اذن وما لم يخطر على قلب بشر (٧٠) .

لقد اقتضت الضرورة أن أثير هذه الأسئلة ، حتى تتضح لنا معالم « اليوم » و « كل يوم » حين نتلوها فى صلاتنا للاب حتى ينعم علينا بالخبز الجوهرى جدا .

وخاتمة المطاف أن نتأمل الضمير « نا » فى (خبزنا) فقد جاءت فى انجيل متى : خبزنا الجوهرى اعطنا اليوم . أما فى انجيل لوقا : خبـــزنا الجوهرى اعطنا كل يوم .. وعلى هذا فالسؤال الذى يدور فى الذهن : هل حقا هذا الخبز هو خبزنا ؟ ولكنا نجد الجواب حاضرا لدى معلمنا بولس اذ يقول لنا أن كل الأشياء هى ملك للقديسين سواء كانت حياة أو موت أو أشياء حاضرة أو مستقبلة (٧١) واظن أن فى هذا الجواب فصل الخطاب.

---

(٧٠) ١ كو ٢ : ٩ .

(٧١) ١ كو ٣ : ٢٢ .

الفصل السابع

واغفر لنا.. كما نغفر..

واغفر لنا ما علينا ، كما نغفر نحن أيضا لمن لنا عليهم . أو كما يقول انجيل معلمنا لوقا : واغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن أيضا لكل من أساء الينـــا .

فيما يختص بالديون ، يقول الرسول : فاعطوا الجميع حقوقهم . الجزية لمن له الجزية . الخوف لمن له الخوف . الجباية لمن له الجباية . الاكرام لمن له الاكرام . لا تكونوا مديونين لأحد بشيء الا بأن يحب بعضكم بعضا (١) . ونحن مديونون — اذا — من حيث أن علينا واجبات معينة ليس فقط من جهة البذل والعطاء ، بل كذلك فى أمور أخرى : الكلام كما يليق أو عمل أشياء معينة . ولكننا بعد كل هذا وفوق كل هذا علينا التزام هام أن يكون لنا مشاعر وأحاسيس خاصة ازاء الآخرين . واما أن نسدد هذه الديون ونفيها باتمام وصايا ناموس الله ، والا — اذا تغافلنا عن رجاحة العقل — فلا نرد هذه الديون وبالتالى نظل رازحين تحت عبئها الثقيل .

ما علينـــا

ماذا علينا نحو الاخوة ؟ لا بد أن نأخذ فى الاعتبار أن التزامنا لا يتغير سواء كان هؤلاء الاخوة من الذين اصطبغوا بصبغتنا وولدوا ولادة جديدة فى المسيح (٢) باعتبار الدين ، أو من الذين ولدوا بالجسد لاباء وأمهات كما نحن أيضا . وفضلا عن هذا ، فعلينا واجب خاص ازاء اخوتنا فى الوطن ، وواجب عام نحو جميع الناس ، وواجب آخر نحو الغرباء ، وواجب نحو الكبار أو الشيوخ الذين بلغوا من العمر ما يجعلهم فى مرتبة الآباء ، وواجب آخر نحو الغير ممن يليق بنا أن نكرمهم كأبناء أو اخوة . فاذا بدا لأحد أن يرفض اداء هذه الواجبات نحو اخوته ، فسيظل مدينا بقدر ما قصر فى القيام به . وبنفس القياس اذا تقاعدنا عن واجباتنا ازاء

---

(١) رو ١٣ : ٧ — ٨ .
(٢) ١ بط ١ : ٣ و٢٣ .

الآخرين — حيث أن هذه الواجبات تمليها علينا روح الحكمة وتتجلى فى الرحمة والصدقة — فان ديوننا تتزايد وتزداد خطرا .

ولكن هناك ايضا — قبل كل هذا — واجب علينا ان نؤديه نحو انفسنا . فنحن ينبغى علينا أن نحسن استخدام اجسادنا بحيث لا يتبدد جوهرها فى الجرى وراء المتعة او اللذة . نحن مدينون بهذا الجسد لأرواحنا حتى ترعاه بعناية فتحفظ للعقل مضاءه وللحديث نقاءه ، حتى لا يتدنى الى الكلام الباطل بل يحرص كل الحرص أن يكون نافعا بناء على الدوام . وهكذا اذا لم نقم بواجبنا ازاء ذواتنا ، ازدادت ديوننا عبئا وثقلا .

وبالاضافة الى هذا كله — وأهم مما عداه — فاننا عمل الله وصورته (٣) . وبالتالى فنحن مطالبون بالأكثر أن نحتفظ بمشاعر وأحاسيس خاصة بالنسبة له ، أن نحبه من كل القلب ومن كل القدرة ومن كل الفكر (٤) . واذا لم نقدر هذا الواجب حق قدره ، نخطىء الى الله ونظل مدينين له . وفى هذه الحالة ، من يصلى من اجلنا . فالخاطىء اذا اخطأ الى آخر يصلون من أجله ، ولكن ان اخطأ الى الله فمن يصلى عنه (٥) ؟ .

واكثر من هذا فنحن مديونون للمسيح الذى اشترانا بدمه (٦) كما يظل العبد مدينا لسيده الذى اشتراه بالمال . ونحن مديونون كذلك للروح القدس . وكيف يمكننا أن نفيه حقه الواجب اذا كنا نحزنه ؟ ففى الروح القدس قد ختمنا ليوم الفداء (٧) . واذا قلنا اننا لا نحزنه فلا بد أن نأتى بالثمر (٨) الذى يطلبه منا لأنه حاضر معنا يحيى ارواحنا (٩) .

واذا كنا لا نعرف على وجه التحقيق الملاك الذى يرى وجه الآب (١٠) من اجلنا ، الا اننا لو تأملنا قليلا فلا بد أن يتضح لنا أننا مدينون له ايضا بشكل ما . ولما كنا قد صرنا منظرا للعالم والملائكة والبشر (١١) فقد اصبحنا فى موقف لا يختلف كثيرا عن موقف الممثل على خشبة المسرح ، يتحتم عليه أن يلتزم بنص الحوار المحدد له ، وان يؤدى افعالا خاصة أمام

---

(٣) اف ٢ : ١٠ .
(٤) مر ١٢ : ٣٠ ولو ١٠ : ٢٧ ومت ٢٢ : ٢٧ وتث ٦ : ٥ .
(٥) اصم ٢ : ٢٥ « اذا اخطأ انسان الى انسان يدينه الله فان اخطأ انسان الى الرب فمن يصلى من أجله » .
(٦) أع ٢٠ : ٢٨ و١ بط ١ : ١٨ وما بعدها ورؤ ٥ : ٩ .
(٧) اف ٤ : ٣٠ . (٨) يو ٥ : ٨ و١٦ . (٩) يو ٦ : ٦٤ .
(١٠) مت ١٨ : ١٠ . (١١) ١ كو ٤ : ٩ .

المتفرجين فاذا اخفق فى اداء واجبه . حق عليه العقاب باعتبار انه قد اهان جمهور المتفرجين . وعلى هذا النمط يمكنا أن نرى واجباتنا التى ينبغى علينا القيام بها امام العالم كله وامام الملائكة وامام الجنس البشرى جميعا . هذا كله دين فى أعناقنا لا بد ان نحاسب عنه . واذا توفرت لدينا الرغبة الصادقة فى المعرفة ، فسوف تعلمنا الحكمة كل شىء عن هـذه الواجبات .

وهناك الواجبات العامة التى تترتب على وضع خاص أو وظيفة عامة مثل واجب الأرملة التى تعولها الكنيسة وواجبات الشماس والكاهن واثقلها جميعا واجب الأسقف المنوط به حتى يؤديه لئلا يقع تحت طائلة العقاب من مخلص الكنيسة كلها . وهناك الواجب المزدوج المتبادل بين الزوج والزوجة الذى تحدث عنه الرسول قائلا : ليوف الرجل المراة حقها الواجب وكذلك المراة ايضا الرجل . ثم يضيف الرسول مؤكدا هذه الحقيقة بقـوله : لا يسلب أحدكم الآخر (١٢) .

لا أعتقد أن بى حاجة الى المزيد من الحديث . وارجو ان كل من يقع هذا الكتاب بين يديه ، يمعن قراءته ويستوعبه حتى يدرك — مما قرأ — الواجبات التى عليه . فاذا لم نؤد ما علينا نظل مقيدين بها ومدينين ، اما اذا أديناها فقد صرنا أحرارا . الا انى احب ان أضيف تحفظا معينا : ليس انسان على قيد الحياة بلا ديون او مسئوليات او واجبات ولو لساعة واحدة او يوما واحدا او ليلة واحدة .

وعندما يكون الانسان مدينا بمبلغ ما فقد يرد هذا الدين وقد يعجز عن سداده . ونحن نجرى على هذا المنوال فى حياتنا فقد نفى ما علينا وقد نتقاعد عن اداء هذا الواجب . ومن الناس من لا يدينه أحد بشىء . ومنهم من يرد أكثر الدين ويظل مدينا بالقليل الباقى ، والبعض الآخر قد يفى بالقليل ويظل مثقلا بالكثير من التزامه . وهناك فريق آخر لا يدفع شيئا ويظل مدينا بالكل . والذى يدفع الكل ويصبح حرا من كل قيد ودين يستطيع أن يتحلل من التزامه فى مدى معين ، ويطالب بتسوية ديونه أو تصفيتها ويأخذ صكا يبرىء ذمته من كل ما كان عليه . وهذا الصك يثبت سداد الدين الا ان الانسان لا يستطيع الحصول على هذا الصك او هذه البراءة ما لم يسع جاهدا فى وقته المعين أن يعنى بكل واجباته والتزاماته التى قصر فيها حتى ذلك الحين .

كل تعدياتنا منقوشة فى عقولنا ، وتصبح هى بنفسها الصك الذى

---

(١٢) ١ كو ٧ : ٣ و ٥ .

لينا (١٣) ووثيقة ادانتنا ، ومثل حسابات الديون نجدها مكتوبة بأيدينا . تقدم فى ساحة القضاء عندما نقف جميعا أمام كرسى قضاء المسيح لينال كل واحد فى الجسد بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا (١٤) وعن هذه الديون يحذرنا سفر الأمثال : لا تكن من ضامنى الديون فتحيا فى خشية من الله . ان لم يكن لك ما تفى ، يأخذون غطاءك من جنبك (١٥) .

من لنا عليهم

فاذا كنا مدينين لكل هذا العدد الضخم ، الا اننا من ناحية أخرى دائنون لآخرين . فبعض الناس عليهم واجب مفروض نحونا باعتبارنا رفاقهم فى الانسانية أو الوطن ، وعلى البعض الآخر التزامات نحونا كاباء او ابناء ، هذا عدا واجبات الزوجات نحو الأزواج او الأصدقاء ازاء اصدقائهم . واذلك عندما يتباطأ البعض فى اداء واجباتهم نحونا ، يجب ان نتصرف برفق فلا نتذكر ديونهم لنا بل بالحرى نذكر ديوننا التى لم نقم بسدادها او ربما رفضنا اداءها ليس فقط بالنسبة لحقوق البشر بل وفى حقوق الله ايضا . فاذا تذكرنا هذه الديون التى أغفلناها خصوصا ما انزوى منها فى طيات النسيان مع مرور الوقت كالواجبات التى تقتضيها الظروف نحو جيراننا أو اخوتنا ، فاننا سوف نغير نظرتنا الى اخوتنا المدينين لنا ولم يوفوا حقوقنا (١٦) وتفيض نفوسنا بالاشفاق والرحمة بهم خصوصا اذا لم نسمح لانفسنا ان ننسى تعدياتنا على ناموس الله أو الشر الذى تكلمنا به ظلما فى تعال وكبرياء (١٧) سوا كان كلامنا عن جهل بالحقيقة أو بسبب التذمر والسخط على الظروف التى تحيط بنا .

فاذا ابينا على انفسنا ان نتصرف بالرفق وروح الصفح والغفران مع اخوتنا المدينين لنا ، فلا مناص لنا أن نقاسى ما عاناه العبد الذى رفض مسامحة العبد رفيقه (١٨) مع أنه هو نفسه تمتع بمثل هذا الامتياز من سيده . والنتيجة التى تترتب على هذا — كما جاء فى المثل — يأمر السيد بضبط العبد واقتصاص الدين كاملا مع أنه سبق أن سامحه به ، ويوبخه بقوله : أيها العبد البطال والشرير أفما كان ينبغى انك انت ايضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ القوه فى السجن حتى يوفى كل ما كان عليه . ثم يضيف المخلص معلقا على المثل : فهكذا ابى السماوى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته .

---

(١٣) كو ٢ : ١٤ .
(١٤) رو ١٤ : ١٠ — ٢ كو ٥ : ١٠ .
(١٥) أم ٢٢ : ٢٦ وما بعدها (الترجمة السبعينية) .
(١٦) مت ١٨ : ٢٣ — ٣٥ .
(١٧) مز ٧٢ : ٨ .
(١٨) مت ٥ : ٢٥ و١٨ : ٣٣ — ٣٥ و٢٥ : ٢٦ .

فى الحقيقة أن الواجب علينا أن نصفح لكل من يعترف ويندم على أخطائه التى ارتكبها فى حقنا حتى ولو تكرر منه هذا الخطأ مرات ومرات طبقا لتعليم الرب : وان أخطأ اليك أخوك سبع مرات فى اليوم ورجع اليك سبع مرات فى اليوم قائلا : أنا تائب فاغفر له (١٩). فما دام قد تاب فلا يجب أن نكون قساة عليهم . أما من يرفض التوبة فهو يجلب الضرر على ذاته لأنه مكتوب أن من يرفض التأديب يرذل نفسه (٢٠) . ولكن حتى فى هذه الظروف يتحتم علينا أن نبذل ما فى وسعنا حتى نشفى هذا الانسان الذى انطمست بصيرته حتى عجز عن ادراك ما تنطوى عليه نفسه من شر وصار ثملا بلا خمر (٢١) لأنه — وهذا أشد خطرا — قد سكر بظلمة الاثم والشرور .

غفران الخطايا

وعندما يكتب معلمنا لوقا : واغفر لنا خطايانا فهو يقصد نفس المعنى من النص المذكور فى انجيل متى لأننا نخطىء حين لا نؤدى ما علينا . وقد يبدو فى نص الصلاة كما جاءت فى انجيل معلمنا متى . أنه لا يشير الى الأشخاص الذين يتميزون بالرغبة فى الصفح عن النادمين والتائبين فقط . أما القديس لوقا فيقول لنا أن المخلص قد رسم بأن نضيف الى هذه الطلبة : لأننا نغفر نحن أيضا لكل من أساء الينا . والحقيقة التى لا مراء فيها ، أننا نستطيع جميعا أن نغفر الخطايا التى يرتكبها ذووها فى حقنا لأنه يقول : كما نغفر نحن أيضا للمذنبين الينا (٢٢) ولأننا نغفر نحن أيضا لكل من أساء الينا (٢٣) لأن هذا هو التصرف الطبيعى لمن أخذ سمة المسيح . كما كان الرسل . ويمكن أن يعرف هذا المؤمن من ثماره (٢٤) لأن الروح القدس يسكن فيه مما يجعل الانسان روحيا يطيع ارشاد الروح (٢٥) على غرار ابن الله فيلزم نفسه بالتعقل فى كل الأمور . ويترتب على ذلك بالضرورة أن يغفر ما يغفره الله ، وأن يمسك ويضبط الخطايا التى لا يمكن شفاؤها فلا يبوح بها . وهكذا يتخذ نفس الأسلوب الذى اتبعه انبياء الله فلا يتكلمون بما يدور فى خواطرهم واذهانهم بل بالحرى يعلنون مشيئة الله . وفى هذا أيضا انما يخدمون الله الذى وحده له سلطان الغفران .

وهناك نصوص صريحة تخول الرسل سلطان الغفران ، كما جاء فى انجيل القديس يوحنا : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر

---

(١٩) لو ١٧ : ٣ وما بعدها .
(٢٠) أم ١٥ : ٣٢ .
(٢٢) مت ٦ : ١٢ .
(٢٣) لو ١١ : ٤ .
(٢٤) مت ٧ : ١٦ و ٢٠ ولو ٦ : ٤٤ .
(٢٥) ١ كو ٢ : ١٤ وما بعدها ورو ٨ : ١٤ وغل ٥ : ١٨ .

. ومن امسكتم خطاياه امسكت (٢٦) . وهذه الكلمات تحتاج الى
تروى والتدقيق حتى لا يلوم البعض آباءنا الرسل لأنهم لم يغفروا لكل
احد خطاياه وبالتالى لا يستحقوا أن يغفر الله لهم خطاياهم ، وانهم امسكوا
طايا البعض مما يؤدى الى أن الله يمسك عليهم خطاياهم كذلك . وهنا
حسن بنا أن نأخذ مثالا من الناموس يساعدنا على فهم الطريقة التى يغفر
ا الله خطايا الناس عن طريق خدامه . فالكهنة فى العهد القديم كان
يحق لهم تقديم بعض الذبائح بالنسبة لبعض الخطايا التى يسقطون فيها
ع أن هذه الخطايا قد تغفر لذويها من عامة الناس اذا قدموا عنها ذبائحهم.
الكاهن له سلطان تقديم الذبيحة عن الخطايا الارادية واللاارادية ومع ذلك
لا يستطيع أن يقدم ذبيحة محرقة (٢٧) عن الخطية فى حالات الزنى والقتل
لتعمد وغيرها من الخطايا الخطيرة . وبنفس الطريقة فان اباءنا الرسل
يضا وخلفاءهم الكهنة بسلطان رئيس الكهنة الأعظم (٢٨) قد تلقنوا علم
لعلاج الالهى فيعرفون بارشاد الروح القدس اية خطـــايا يجوز لهم أن
قدموا الذبيحة عنها ومتى وكيف . كما يدركون الخطايا التى لا يجوز لهم
ن يفعلوا ذلك عنها . ولذلك عندما عرف عالى الكاهن (٢٩) أن ابنيه حفنى
وفينحاس قد ارتكبا الشر ، لم يستطع أن يقدم لهما اية معونة لغفـــران
خطاياهم ، بل يعترف بعجزه وقصوره حين يقول : اذا اخطأ انسان الى
نسان فيصلون عنه ، ولكن ان اخطأ الى الرب فمن يصلى عنه (٣٠) .

انا لا استطيع أن افهم تلك الجراة التى فيها ينسب بعض النـــاس
لأنفسهم سلطانا يفوق سلطان الرتبة الكهنوتية . ولعل ذلك يرجع الى
انهم لم يملكوا بعد ناصية المعرفة الدقيقة التى تلائم الكاهن . بعضهم يتباهى
بأنه يستطيع أن يغفر خطية السقوط فى عبادة الأوثان ، وأن يكفر عن الزنا
والنجاسة . واذ يظنون أن صلواتهم التى رفعوها عمن سقط فى هـــذه
الخطايا التى للموت قد استجيبت وحققت لهم الغفران ، تردوا فى ضلالة
اشر باستباحوا لأنفسهم ما لا يليق انهم فى حاجة الى قراءة واستيعاب
الكثير من الآيات مثل : توجد خطية للموت . ليس لأجل هذه أقول أن
يطلب (٣١) كما يجب علينا الا نمسك عن ترديد ما قاله أيوب الصديق عند
تقديم الذبيحة من أجل أولاده : ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى
عقولهم (٣٢) . ونلاحظ هنا ان أيوب يقدم الذبيحة عن خطية يشك فى
وقوعها . وليس ذلك فقط ، بل حتى فى حالة وقوعها — اذا وقعت — فقد
حدثت بالعقل ولم تصل حتى الى الشفتين .

---

(٢٦) يو ٢٠ : ٢٢ وما بعدها . (٢٧) لا ٧ : ٣٧ ومز ٣٩ : ٧ .. الخ
(٢٨) عب ٤ : ١٤ . (٢٩) ١ صم ٢ : ٢٢ .
(٣٠) ١ صم ٢ : ٢٥ . (٣١) ١ يو ٥ : ١٦ . (٣٢) أى ١ : ٥ .

الفصل الثامن

ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير

ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير .

والفقرة الأخيرة « لكن نجنا من الشرير » لم ترد فى انجيل معلمنا لوقا .

مخلصنا الصالح لا يأمرنا بطلب المستحيلات . ولهذا يجب علينا ان نتعمق فى معنى هذه الطلبة ، لأنه كيف يطلب الينا أن نصلى لئلا ندخل فى تجربة ، بينما حياة الانسان كلها على الأرض ما هى الا تجربة متصلة مستمرة . ما دمنا على الأرض فنحن فى الجسد الذى يقاتل ضد الروح (١) وأفكار الجسد عداوة لله (٢) ولا يمكن اخضاعه لناموس الله . اذا فنحن فى تجربة أى نجتاز امتحانا وفحصا (٣) .

التجـــربة

ان حقيقة حياة الانسان على الأرض من حيث هى تجربة وجهاد قد عرفناها من ايوب الصديق اذ يقول : اليست حياة الانسان على الأرض تجربة (٤) ويزداد هذا المعنى وضوحا بما جاء فى المزمور : فيك خلاص من التجربة (٥) كما يعلمنا القديس بولس فى حديثه الى اهل كورنثوس أن الله يعطينا النعمة لا لكى نتفادى التجارب بل بالحرى لكى لا نجرب فوق استطاعتنا : لم تصبكم تجربة الا بشرية ولكن الله أمين وعادل الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا (٦) سواء كانت مصارعتنا مع الجسد الذى يشتهى ضـــد

---

(١) غل ٥ : ١٧ ويع ٤ : ١ و١ بط ٢ : ١١ . (٢) رو ٨ : ٧ .

(٣) كلمة تجربة العربية ترجمة للكلمة الانجليزية Temptation

To tempt = to put to trial; to test; to try to persuade esp. to evil; to entice (Chamber's Twentieth Century Dictionary)

(٤) أى ٧ : ١ « اليس جهاد للانسان » .

(٥) مز ١٧ : ٣٠ . (٦) ١ كو ١٠ : ١٣ — ١٤ .

(٧) أو مع النفس (٨) وهذه المصارعة لا بد أن يجتازها كل الذين
لتجارب البشرية . فاذا كانوا من أهل الدراية والدربة وأقوياء الى
التى لم يعد فيها جهادهم ضد الجسد والدم ، بل ولم يعودوا هدفا
ب البشرية لأنهم قد غلبوها بالفعل وسحقوها تحت اقدامهم (٩) .
يرتفع صراعهم الى مستوى آخر : فان مصارعتنا ليست مع دم
بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر
جناد الشر الروحية (٩) . وعلى أى الحالين فلا بد لنا من مواجهة
ب .

ذا فكيف يأمرنا المخلص ان نطلب حتى لا ندخل فى التجارب ، مع أن
يجرب كل بشر بطريقة ما ؟ علينا أن نتذكر ما تقوله يهوديت (١٠)
كام زمانها فحسب بل لكل من يقرأ كتابها : تذكروا ما صنعه الله مع
يم وكيف امتحن اسحق وما حدث ليعقوب فيما بين النهرين فى سوريا
ا كان يرعى غنم خاله لابان ، اذ ليس كما امتحنهم الله ليعرف فكر
م يعاقبنا نحن ، فهو الذى يؤدب المقتربين اليه من أجل تقويمهم .

ويؤكد لنا داود النبى صدق هذه الحقيقة صدقا شاملا يصدق على
ع الأبرار فيقول : كثيرة هى بلايا الصديق (١١) ويقول سفر الأعمال
ضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله (١٢) .

+ ولكنا قد لا ندرك معنى هذه الطلبة « لا تدخلنا فى تجربة » وكثير
الناس فعلا لا يعلمون ولذلك أضيف أيضا أن الله لم يسمع للرسل
يقدمون هذه الصلاة ، فاحتملوا الآلاف من البلايا والضيقات طوال
هم: فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر ، فى السجون بما لا يقاس ، فى
ات مرارا كثيرة. ومعلمنا بولس بالذات تلقى من اليهود خمس مرات أربعين
ة الا واحدة وثلاث مرات ضرب بالعصى. ومرة رجم وثلاث مرات انكسرت بهم
فينة، وقضى ليلا ونهارا فى العمق(١٣) لقد قاسى هذا القديس ضيقات فى كل
ء.. أسر واضطهد وطرح أرضا(١٤) ثم يقر بأنه ما زال مجربا فى كل شىء:
هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة ، ونتعب

---

(٧) اف ٦ : ١٢ وغل ٥ : ١٧ ويع ٤ : ١ و١ بط ٢ : ١١ .
(٨) تعبير يطلق على القوة الرئيسية التى تحتل جسد الانسان ، ويطلق
ها كذلك تعبير « القلب » لا ١٧ : ١١ .
(٩) اف ٦ : ١٢ ومز ٩٠ : ١٣ .
(١٠) يهوديت ٨ : ٢٦ .
(١١) مز ٣٣ : ٢٠ .
(١٢) أع ١٤ : ٢١ .
(١٣) ٢ كو ١١ : ٢٣ — ٢٥ .
(١٤) ٢ كو ٤ : ٨ وما بعدها .

عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل . يفترى علينا فنعظ (١٥) . فاذا كانت صلوات الرسل فى هذا الشأن لم تلق استجابة من الله ، فهل الذى يقل عنهم فى الكرامة يرجو أن يسمع الله صلاته ؟ ! .

وهناك سؤال آخر يواجه من لا يكلف نفسه عناء التدقيق فى ادراك هدف المخلص من هذه الطلبة التى أوصانا أن نصليها ، فقد يظن أن هناك تعارضا أو تناقضا بين مضمون هذه الطلبة وبين كلمات المزمور : جربنى يارب وامتحنى . محص بالنار قلبى وكليتى (١٦) . هل خطر ببال انسان ما أن يكون بعيدا عن متناول التجارب ، التى يعيها ما دام له عقل يفكر ؟ هل هناك وقت يستطيع فيه الانسان ان يثق بأن لا حاجة به الى الجهاد ضد الخطية ؟ هل هناك فقير ؟ فليخف لئلا يسرق وينطق باسم الرب الهه باطلا (١٧) . أهو غنى ؟ فليحذر لئلا يغتر ويخدع نفسه بالأكاذيب ويظن فى كبريائه أن أحدا لا يراه . فبولس الرسول نفسه مع انه كان غنيا فى كل كلمة وكل معرفة ، فان هذا لم يعفه من خطر السقوط فى خطية الكبرياء حتى صار فى حاجة الى شوكة من الشيطان ليلطمه لئلا يرتفع (١٩) .

واذا كان هناك من يعرف ما يشتمل عليه من كمالات وفضائل وارتفاع على كل شر ، فليقرأ ما جاء فى سفر أخبار الأيام الثانى عن موضوع حزقيا الذى قيل عنه أنه سقط لأن قلبه ارتفع (٢٠) .

ونظرا لأننا لم نتحدث كثيرا عن الفقير ، أعود الى هذا الموضوع فأقول انه قد يكون هناك من يحيا فى راحة ودعة كأن الفقر لا يمكن أن يكون موضوعا لتجربته .. مثل هذا فليعلم أن المجرب يبذل جهده لكى يطعن بسهامه الفقير والمحتاج خصوصا — كما يقول سليمان — أما الفقير فلا يحتمل انتهارا (٢١) . ولكن من ناحية أخرى لا يمكننا أن نحصى عدد الأثرياء الذين بسبب غناهم الأرضى الذين لم يحسنوا استخدامه نالوا نفس المجازاة التى حلت على الغنى الذى جاء ذكره فى الانجيل (٢٢) ؟ كما أن هناك عدد كبيرا من الفقراء الذين احتملوا فقرهم بطريقة مهينة وسلكوا فى حياة ذليلة منحطة لا تليق بالقديسين (٢٣) وبالتالى فقدوا رجاءهم فى السماء (٢٤) ؟

---

(١٥) ١ كو ٤ : ١١ — ١٣ .
(١٦) مز ٢٥ : ٢ .
(١٧) أم ٣٠ : ٩ .
(١٨) ١ كو ١ : ٥ .
(١٩) ٢ كو ١٢ : ٧ .
(٢٠) ٢ أى ٣٢ : ٢٥ وما بعدها .
(٢١) أم ١٣ : ٨ .
(٢٢) لو ١٦ : ٢٢ وما بعدها .
(٢٣) أف ٥ : ٣ .
(٢٤) كو ١ : ٥ .

اما الذين يحيون معيشة وسطا بين الغنى والفقر ، هل — بسبب اعتدالهم — قد جانبوا الخطية او اجتنبوها .

الرجل القوى الذى يتمتع بصحة جسدية جيدة قد يتصور أنه ارقى من التجربة بسبب صحته وجودة حالته الجسدية . ولكن اذا سألنا : من دنس هيكل الله (٢٥) غير أصحاب الصحة الجيدة ؟ ! فلن نجد من يجرؤ على الرد على هذا التساؤل لأن الحقائق تشهد على الجميع . حتى المريض هل استطاع أن يهرب من مناورات الفكر لافساد هيكل الله ، فى لحظات التراخى والتكاسل التى تتيح الفرصة لاستقبال الأفكار التى تدور حول الأفعال النجسة . هل بى حاجة ان اذكر تلك الرغبات الأخرى التى تنتابه بعنف اذا لم يحفظ قلبه بكل حرص ويقظة (٢٦) . كثيرون ممن انهاروا أمام المشقات ولم يستطيعوا احتمال المرض برجولة ، اظهروا أنهم اخطر علة واشد مرضا فى الروح مما فى الجسد . وكثير ممن ارادوا الهرب من المهانة لأنهم خجلوا من المجاهرة باسم المسيح ، سقطوا فى الخزى الأبدى (٢٧) .

هناك انسان عندما ينال كرامة بين الناس يطيب خاطره ولا يقلق كأنه لا يجوز تجربة بالفعل . انه ينسى قول الكتاب : لقد استوفوا اجرهم (٢٨) من الناس . أليست هذه الكلمات القاسية موجهة لمن ينتفخون بسبب مديح الناس وكأنه من اجل الخير ؟ هناك توبيخ صارم فى قوله : كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه (٢٩) لا حاجة بى الى تعداد خطايا الكبرياء التى يقع فيها اصحاب الأصل الرفيع — فى نظر الناس ، ولا استطيع ان احصى خطايا التذلل والتملق المهين — بسبب الجهل — الذى ينزلق اليها ذوى الأصل الوضيع ازاء الطبقات العليا — فى نظرهم . هذا الخنوع انما يفصل الانسان عن الله تماما لأنه لا يتسم بالود الصادق بل هو مجرد تمثيل لأسمى وارق عاطفة فى الانسان : المحبة .

اذا فحياة الانسان — كما قلنا — كلها سلسلة من التجارب . وعلى هذا فلا بد لنا أن نصلى حتى نخلص وننجو من التجارب ، والا نستسلم ونسقط عندما نجرب لأنه لا يمكنا أن نطلب عدم التجربة اطلاقا ، لأن هذا مستحيل ما دمنا على الأرض . واعتقد أن الذى يستسلم للتجربة هو الذى

---

(٢٥) ١ كو ٣ : ١٧ .
(٢٦) أم ٤ : ٢٣ .
(٢٧) لو ٩ : ٢٦ وفى ٣ : ١٩ .
(٢٨) مت ٦ : ٢ .
(٢٩) يو ٥ : ٤٤ .

يدخل فيها لأنه سقط فى حبائلها وشباكها . اما المخلص — الذى دخل فى هذه الشباك من اجل الذين سقطوا فيها — فانه يتطلع كما قيل فى نشيد الانشاد ، ويتحدث الى الذين سقطوا فى حبائل المجرب ويدعو العروس قائلا : قومى تعالى يا جارتى يا واحدتى الجميلة يا حمامتى (٣٠) .

واحب أن اقول ايضا ان كل وقت قد يكون وفقا للتجارب ، ولا يعفى من جهاد التجارب حتى الرجل الذى يلهج فى ناموس الرب نهارا وليلا (٣١) أو الذى يحاول أن يطبق قول الحكيم : فم الصديق ينبت حكمة (٣٢) تطبيقا عمليا .

يمكن أن استشهد بالكثير من النماذج البشرية من المؤمنين الذين كرسوا انفسهم لدراسة الكتاب المقدس ومع ذلك فقد اخطأوا فهم الرسالة التى يقدمها الناموس والأنبياء . واعتنقوا مبادىء الالحاد التى لا تتفق مع التقوى ، أو ابتدعوا لأنفسهم شرائع وعقائد سخيفة تدعو الى السخرية . وبعد أن صاروا جنودا للشيطان اذ سقطوا فى بدع الهلاك فى أمور ظاهرة ، لا يمكن أن نتهمهم فى حياتهم بالتجاهل والاهمال . لقد حلت هذه اللعنة بعينها على كثيرين من دارسى كتابات الرسل والانجيليين ولكنهم بسبب ضيق آفاقهم ، ابتدعوا ابنا او أبا غريبا تماما ولا يمت بصلة لايمان القديسين ولاهوتهم . كل من لا يؤمن بالحق فيما يتصل بالله ومسيحه ، انما يرتد وينحرف بعيدا عن الاله الحق وابنه الوحيد (٣٣) . ويصطنع الهراطقة لهم الها يظنونه الآب والابن ، ويصطنعون عبادة باطلة فى حقيقتها أو لعلها ليست بعبادة . وهم يسقطون فى هذا الفخ لأنهم لا يدركون التجارب التى يتعرضون لها حتى فى قراءة الكتب المقدسة ، وفى جهلهم لا يتزودون بالأسلحة التى يتطلبها هذا الجهاد .

الله يسمح بالتجارب

اذا فعندما نصلى لا نطلب الا نتعرض للتجارب على الاطلاق ، لأن هذا امر مستحيل ، بل بالحرى نطلب الا نسقط تحت سلطان التجربة وقوتها ، وهو ما يحل بمن تصطادهم التجربة وتغلبهم . ويجب أن يكون هذا المعنى واضحا فى أذهاننا نفهم فى نطاقه كل ما كتب فى الكتاب المقدس فى مواضع أخرى غير الصلاة الربانية بالنسبة لعدم الدخول فى التجارب (٣٤).

---

(٣٠) نش ٢ : ٩ وما بعدها .
(٣١) مز ١ : ٢ .
(٣٢) أم ١٠ : ٣١ .
(٣٣) يو ١ : ١٤ و١٨ .
(٣٤) مت ٢٦ : ٤١ ومر ١٤ : ٣٨ ولو ٢٢ : ٤٠ .

وطبقا للنص نطلب من الآب الا يدخلنا هو فى تجربة .. انه أمر يستحق التأمل والتفكير فكيف يدخل الله انسانا فى التجربة ؟ واذا لم يطلب هذا الانسان اعفاءه من الدخول فى التجربة ، أو اذا فرضنا انه صلى ولم يستجب الله صلاته مما يؤدى الى دخول الانسان فى التجربة ثم الى السقوط ، فهل نظن ان الله قد أدخله فى التجربة بمعنى أنه اقتاده او دفعه اليها وسلمه للهزيمة والسقوط ؟ ! حاشا لله . قد يستغلق تعليل هذا الأمر على الادراك البشرى ، فوصية الرب لنا : صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة .. واذا كان شرا أن نسقط فى التجربة ، ونحن نصلى حتى لا يحل بنا هذا الشر ، ولكنه يحل بنا فعلا الا يفهم من ذلك أن الله الصالح الذى لا يمكن أن يخرج ثمرا رديا (٣٥) هو الذى قد ينزل هذا الشر بالانسان .

علينا اذا أن نقارن الوصية بما كتبه القديس بولس فى رسالته الى أهل رومية : وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لا يتدنس بشبه صورة الانسان الذى يتدنس والطيور والدواب والزحافات . لذلك اسلمهم الله أيضا فى شهوات قلوبهم الى النجاسة لاهانة أجسادهم بين ذواتهم (٣٦) ثم يواصل حديثه بعد ذلك فيقول : لذلك أسلمهم الله الى أهواء الهواء لأن اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الانثى الطبيعى اشتعلوا بشهوتهم .. وكما لم يستحسنوا ان يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق (٣٧) .

كان من الضرورى أن نأتى بهذه النصوص من أجل منفعة الذين يجعلون من الله الهين ، لأنهم يميزون ويفرقون بين الآب الصالح أبو ربنا وبين اله الناموس (٣٨) . فأقول لهؤلاء : اذا كان الانسان الذى يرفض الله صلاته،

---

(٣٥) مت ٣ : ١٨ .

(٣٦) رو ١ : ٢٢ — ٢٤ .

(٣٧) رو ١ : ٢٦ وما بعدها .

(٣٨) يشير أوريجانوس هنا الى بدعة ماركيون Marcion of Sinope وهو من كبار الغنوسيين فى القرن الثانى . وقد أسس بدعة الماركيونية Marcionites وانتشرت فى الشرق وظلت معروفة حتى أوائل العصور الوسطى . وقد أنكر ماركيون العهد القديم كله كما رفض أناجيل متى ومرقس ويوحنا ولم يعترف الا بانجيل القديس لوقا بعد حذف بعض الأجزاء. ولم يقبل كذلك الرسائل الرعوية (رسائل تيموثاوس وتيطس وفليمون) حذف الرسالة الى العبرانيين وبعض الأجزاء من رسائل القديس بولس . وذلك حتى يتفق المكتوب مع ما ابتدعه من عقائد واراء . واطلق على كتابه المقدس — بعد ذلك — اسم الانجيل والرسول .

يدخله الله الصالح فى التجربة ، واذا كان الذين يرتكبون خطية ما من الخطايا ، يسلمهم أبو ربنا لشهوات قلوبهم للنجاسة لاهانة أجسادهم بين ذواتهم . واذا كان الله — كما يقولون — ينأى بنفسه بعيدا عن الدينونة والعقاب ومع ذلك فهو يزج بهم فى اهواء الهوان ، وهو الذى يسلمهم الى ذهن مرفوض لكى يفعلوا ما لا يليق .. اذا ينتج من ذلك أن هؤلاء الخطاة ما كان لهم أن يصيروا خاضعين لشهوات قلوبهم ما لم يسلمهم الله الى هذه الشهوات ، وما كان لهم أن يسقطوا فى اهواء الهوان ما لم يدفعهم الله اليها ، وما كان لهم أن ينحدروا الى ذهن مرفوض لو لم يحكم الله عليهم بهذا ويسلمهم اليه !!

لا شك أن هذه النتائج مزعجة . ولهذا السبب يتحايلون للتخلص من هذا الحرج فينادون باله آخر فضلا عن الله خالق السماء والأرض . وقد وجدوا الكثير من النصوص فى الناموس والأنبياء على غرار النص السابق وبسبب قصور حكمتهم جدفوا على الله الناطق بهذه الكلمات ونسبوا اليه عدم الصلاح .

مما سبق نتبين أن هذه الطلبة « لا تدخلنا فى تجربة » قد أثارت أمامنا عددا من الأسئلة او المشاكل قادتنا الى ايراد هذه النصوص التى نقلناها عن القديس بولس . والواجب يحتم علينا الآن أن نلتمس جوابا لهذه المتناقضات وأن ندرك روح التعليم .

اننا نؤمن أن الله فى معاملاته مع الروح العاقلة يعطى الاعتبار الأول لحياتها الأبدية . ومن خصائص هذه الروح دائما حرية الاختيار ، وبالتالى فعليها وحدها تقع مسئولية ارتقائها الى حالة افضل وتطورها فى مدارج التقدم حتى تصل قمة الخير والصلاح ، أو العكس اذا انحدرت بسبب الاهمال والتراخى الى أحط دركات الشر . والشفاء السريع قد يدفع البعض الى التقليل من شأن المرض الذى حل بهم والاستهانة بأمره باعتباره قابلا للشفاء العاجل وبسبب موقفهم قد يصابوا بنكسة بعد الشفاء ، لهذا ايضا فان الله يعالج أمثال هذه الحالات بحكمته فيحتمل شرور الخطاة مهما كثرت ، واحيانا يغضى النظر عن تدهورهم فى الشر حتى يصلوا الى مستوى يستعصى فيه العلاج . تمر عليهم فترة طويلة من الزمن يقضونها فى ممارسة خطيتهم حتى يمتلئوا من دنس شهواتهم ويصلوا الى درجة الامتلاء أو التشبع الذى يتقزز بالضيق والنفور ، فيدركون مدى الأذى والضرر الذى حاق بهم ، وتحل الكراهية ازاء ما كان يستهويهم قبلا . وبذلك ينفتح أمامهم طريق الشفاء حتى يستمتعوا بصحة الروح التى تعود اليهم فى أمن وسلام. ولنأخذ لذلك مثالا فى عامة الشعب الذين اختلطوا بشعب اسرائيل فقد

تهى لفيف منهم شهوة ، فعاد بنو اسرائيل ايضا وبكوا وقالوا من يطعمنا
ا . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ
كرات والبصل والثوم . والآن يبست انفسنا . ليس شيء غير أن
ينا الى هذا المن .. ثم يستكمل القصة فيقول : فلما سمع موسى ..
ون بعشائرهم كل واحد فى باب خيمته .. ويقول الرب لموسى بعد ذلك :
شعب تقول : تقدسوا للغد فتأكلوا لحما . لأنكم بكيتم فى أذنى الرب قائلين
يطعمنا لحما . انه كان لنا خير فى مصر . فيعطيكم الرب لحما فتأكلوا .
لون لا يوما واحدا ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين
ما . بل شهرا من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة
كم رفضتم الرب الذى فى وسطكم وبكيتم قائلين لماذا اخرجنا من مصر (٣٩).

تاملوا معى هذه القصة حتى نرى اذا كانت تؤدى الغاية المقصودة من
ايتها هنا ، والى اى مدى يمكن ان تزيل شبهة التناقض التى تبدو بين
مات الرسول وبين دعائنا لله : ولا تدخلنا فى تجربة .

جماعة من الناس اختلطت بشعب اسرائيل . هذه الجماعة التهبت
الشـــهوة وبسببها بكت وبكى معهم بنو اسرائيـــل . ومن الواضح أنهم
ا داموا لم يحصلوا على ما يشتهون فلن يحسوا بالشـــبع أو الاكتفاء
ل لا تفتأ الرغبة تلح فلا يكفوا عن الاحساس بوخزاتها القاسية . الا أن
لله محب البشر الصالح عندما حقق لهم هذه الرغبة واعطاهم ما يشتهون ،
م يشأ أن تكون العطية قاصرة بحيث تعطى مكانا فى قلوبهم للرغبـــة أو
شهوة ، وذلك يقول أنه سوف لا يعطيهم اللحم لمدة يوم واحد فقط لأن —
ى هذه الحالة — ستظل لهفتهم الى اللحم حية فى نفوسهم الملتهبة بالرغبة.
وسيظل الأمر كذلك ايضا لو اعطاهم مشتهاهم فترة قصيرة . ولكنه أراد
ن يشبعهم الى أقصى حد . ولو دققنا فى كلمات الرب يمكنا أن نستشف
حقيقة هامة . انه — فى الواقع — لا يعطيهم وعدا بقدر ما يهددهم بهذه
العطية التى ترضى شهواتهم : ستأكلون لحما لا خمسة أيام ولا ضعف خمسة
أيام ولا ضعف هذا الضعف بل ستأكلونه طويلا لمدة شهر كامل حتى أن هذا الذى
تظنونه خيرا ويبدو لكم جميلا، يخرج من مناخركم ويصير كراهة لكم وبذلك تزول
وتختفى شهوتكم المخجلة التى تستحق التوبيخ والتقريع. أريد أن آخذكم بعيدا عن
هذه الحياة عندما تتحررون من ربقة الشهوة ونيرها . وعندما تبلغون هذه
الدرجة من النقاء لن تعودوا الى هذا الســـقوط ثانية ، لأنكم ستكونون
قد تطهرتم من الشهوة وتتذكرون كيف تحررتم منها بجهاد عنيف وآلام
شديدة . ولكن هذا العناء قد يتكرر على فترات قد تطول وقد تقصر ،

---

(٣٩) عد ١١ : ٤ — ٦ و١٠ و١٨ — ٢٠ .

عندما تنسون الآلام التى سببتها لكم الشهوة ، وعندما تتغافلون عن السهر على ذواتكم أو يقظة الوعى الذى يخلصكم تماما من مثل هذه الأحاسيس . وهكذا عندما تتحر فيكم الرغبة نحو المخلوقات من جديد ستنفرون من موضوع شهوتكم وتعودون سريعا الى الصالحات والى البر السمائى الذى سبق لكم ان احتقرتموه اذ طلبتم الأشياء الدنيا .

وعلى نفس المنوال ، سوف يجازى الذين استبدلوا مجد الله الذى لا يتدنس الى شبه صورة الانسان الذى يتدنس والطيور والدواب والزحافات لأنهم سوف يتركون فيستسلمون لشهوات قلوبهم للنجاسة ليهينوا أجسادهم (٤٠) فقد نسبوا الى الجسد الجامد الميت صفة الألوهية واسم الله ، الله الذى أعطى جميع الكائنات المزينة بالشعور والعقل ليس فقط قوة الاحساس بل قوة الادراك العقلى أيضا ، وربما أعطى البعض قوة الفهم والادراك الكامل الفاضل . من الحق أن يترك الله هؤلاء الذين تركوه ، ومن الحق أن يسلموا الى أهواء الهوان وهكذا ينالون جزاء ضلالهم المحق (٤١) ، الذى فيه أحبوا اللذة النجسة . ولا شك أن جزاء ضلالهم يزداد ثقلا بتسليمهم لأهواء الهوان أكثر مما لو تطهروا بنار الحكمة او لو وضعوا فى السجن حتى يوفوا الفلس الأخير (٤٢) مما عليهم . وعندما يسلمهم لأهواء الهوان فليست هذه الأهواء هى الميول الطبيعية وحدها بل كذلك الأهواء التى تنافى الطبيعة ايضا فيفسدون أنفسهم حتى يمعنوا فى غلاظة قلوبهم بالجسد الى الحد الذى يبدون معه كأن لا روح لهم ولا عقل بل جسدا بحتا . ففى النار (٤٣) أو السجن لا ينالون جزءا ضلالهم بل بالحرى معونة لتطهير شرور ضلالهم ، وتعطى لهم هذه المعونة مع التجارب المخلصة التى تعمل على نجاة محبى اللذة ، فتنقذهم من كل نجاسة ومن كل دم سبق أن تلطخوا بهما حتى حرموا القدرة على التفكير فى انقاذ نفوسهم من الهلاك . وعندئذ يغسل الرب قذر ابناء صهيون وينقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وروح الاحراق (٤٤) لانه يأتى مثل نار المحص ومثل أشنان القصار (٤٥) ينقى ويطهر كل المحتاجين الى مثل هذا العلاج ، الذين سبق أن لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم ، ولكنهم اذا استودعوا أنفسهم لهذا العلاج فسوف يبغضون الحاسة المرذولة لان الله لا يريد أحدا أن يصنع البر قسرا رغم أنفه ، بل يجب ان يقبله بارادته واختياره . وهناك من الخطاة من اعتاد ارتكاب الشر حتى صار فهمه بطيئا فى ادراك عار الخطية وبالتالى يتباطأون فى التراجع عما كانوا يحسبونه خيرا (٤٦) .

---

(٤٠) رو ١ : ٢٣ وما بعدها . (٤١) رو ١ : ٢٧ .
(٤٣) اش ٤ : ٤ ومل ٣ : ٢ و١ كو ٣ : ١٣ . (٤٤) اش ٤ : ٤ .
(٤٥) مل ٣ : ٢ . (٤٦) رو ١ : ٢٨ .

تأمل .. أليس لهذا السبب قسى الرب قلب فرعون ، حتى عندما يلين يستطيع ان يعترف : الرب هو البار . أنا وشعبى خطاة (٤٧) . كان لا بد أن يتقسى قلبه بالأكثر ، وكان لا بد أن يعانى ويقاسى ويتفاضل فى هذه المعاناة حتى لا يستهين بقسوة القلب فيما لو تحرر منها سريعا . لذلك تقسى قلب فرعون وتقسى مرة بعد أخرى حتى امتلأ المكيال .

اذا ، فما دام نشر الشباك لاصطياد العصافير لا ينم عن ظلم أو شر كما جاء فى سفر الأمثال (٤٨) ، واذا كان من الحق أن يدخل الله الانسان فى المصيدة كما قيل : أدخلتنا الى الشبكة (٤٩) ، واذا كان حتى العصفور — وهو أقل الطيور شأنا — لا يسقط فى الشبكة دون ارادة الأب (٥٠) (ولو أنها تقع فى الفخ لأنها عجزت عن استخدام قوة أجنحتها لكى تحملها عاليا) فالأمر يقتضى منا — بعد ذلك — أن نطالب الى الله ألا نرتكب عملا من شأنه أن يستوجب على عدل الله أن يدخلنا فى التجارب . هذا هو القضاء الذى ينزل بالرجل الذى سلمه الله الى شهوات قلبه للنجاسة ، والى أهواء الهوان وبالرجل الذى لم يستحسن أن يبقى الله فى معرفته فسلمه الى ذهن مرفوض لكى يفعل ما لا يليق (٥١) .

فوائد التجارب

لا شك أن التجارب تحقق لنا الكثير من الفوائد . فالهبات والعطايا التى نقتنيها روحيا ، لا يعرفها احد الا الله ، بل نحن أنفسنا أحيانا لا ندركها . ولكن التجارب تكشف عن جوهرها وتظهر ما خفى من خصائصها . وبالتالى نتعرف على حقيقة ذواتنا ، ويمكننا بالانحصار فى الخلوة وبالتأمل أن نكتشف أيضا ما تنطوى عليه نفوسنا من نقائص وعيوب . وهذا بدوره يقودنا الى تقديم الشكر من أجل العطايا التى يغمرنا بها الله وتكشف عنها التجارب . اذا فالتجارب التى تأتى علينا انما تساعدنا على ادراك حقيقة أنفسنا كما تبرز المشاعر والأحاسيس التى تعتمل فى صدورنا وقلوبنا (٥٢) . وهذا يتضح مما يقوله السيد فى سفر أيوب : لعلك تناقض حكمى . تستذنبنى لكى تتبرر (٥٣) . وفى سفر التثنية أيضا يقول : اذلك واجاعك واطعمك المن ، الذى سار بك فى القفر العظيم المخوف مكان حيات وعقارب وعطش ليعرف ما فى قلبك (٥٤) .

---

(٤٧) خر ٩ : ٢٧ .
(٤٨) أم ١ : ١٧ .
(٤٩) مز ٦٥ : ١١ .
(٥٠) مت ١٠ : ٢٩ ولو ١٢ : ٦ .
(٥١) رو ١ : ٢٤ و٢٦ و٢٨ .
(٥٢) تث ٨ : ٢ .
(٥٣) أى ٤٠ : ٨ .
(٥٤) تث ٨ : ٣ و١٥ .

ويمكنا أن نسترجع مثلا من التاريخ . يجب أن نعلم أن حواء لم تكن فريسة الخداع وقصور فى الحكم عندما بدأت تخالف الله فقط ، وعندما أخذت تستمع الى صوت الحية فقط . لا ، فى الواقع أن هذه الميول كانت موجودة كامنة فى نفسها قبل أن تعلنها التجربة . والحية بمكرها ودهائها عرفت فيها هذا الضعف . وبهذه المعرفة اقتربت منها (٥٥) . وبنفس الطريقة شرقايين لم يبدأ عندما قتل أخاه (٥٦) فالله — عارف القلوب (٥٧) سبق أن رفضه ورذل قرابينه (٥٨) ولكن هذا الشر ظهر واستعلن فقط عندما قتل أخاه . كذلك نرى أن نوح لو لم يشرب من الخمر الذى صنعه بنفسه ، وسكر وتعرى نتيجة لذلك لما انكشف اندفاع حام وسخريته بأبيه ولما ظهر احترام اخوته وتوقيرهم لأبيهم (٥٩) . وقد يبدو أن عيسو تآمر على أخيه يعقوب لأنه اختلس منه البركة (٦٠) ولكن الواقع ان روحه — من قبل ذلك — كانت تنطوى على جذور الرجل الدنس والانسان المستبيح (٦١) .

وعلى العكس من ذلك ايضا نرى عفة يوسف الرائعة ، التى فيها كان مستعدا لمقاومة كل شهوة .. هذه العفة ما كانت تستعلن لنا بدون التجربة التى ولدتها الرغبة الملتهبة التى جاشت فى قلب سيدته نحوه (٦٢) .

وهكذا فى فترات الراحة بين التجارب علينا ان نتطلع الى المستقبل ، ونعد أنفسنا لما قد يواجهنا منها . ومهما كان نوع التجارب فيجب الا نؤخذ على غرة بل بالحرى نلتزم فى أنفسنا بتدبير روحى متقن ، أما ما ينقصنا بسبب ضعف طبيعتنا البشرية ولكننا محتاجون للتسلح به فيجب أن نثق — اذا كنا قد بذلنا كل ما فى طاقتنا — أن الله سوف يكمله لنا لأنه يعين الذين يحبون اسمه (٦٣) فى كل الأشياء للخير ، لأنه سبق فعرفهم ، وعرف جهادهم .

---

(٥٥) تك ٣ : ١ — ٦ .
(٥٦) تك ٤ : ٨ .
(٥٧) أع ١٥ : ٨ .
(٥٨) تك ٤ : ٥ .

الفصل التاسع

لكن نجنا من الشرير

يبدو لى أن معلمنا لوقا عندما انتهى الى عبارة « لا تدخلنا فى تجربة » ، انما كان يقصد ويعبر ضمنا عن الفكرة التى تأتى فى اثرها اى « نجنا من الشرير » ، ومن المحتمل ايضا أن السيد وهو يعلم تلميذه كيف يصلى توخى الايجاز خاصة وأن تلميذه قد نال قسطا من المعرفة . ولكنه فى تعليمه للجماهير تكلم بايضاح يفصح عما أوجزه للتلميذ لأن الجماهير كانت فى حاجة الى التعليم التفصيلى .

والآن ، نحن نطلب من الله أن ينجينا من الشرير ، ولكن هـذا لا يعنى أن عدو الخير لا يهاجمنا اطلاقا بخداعه وحيله ، بل بالحرى نطلب اليه أن ينجينا بالغلبة والاحتمال والصمود أمام كل ما يحل بنا . ومن هنا نستطيع أن ندرك معنى قول الكتاب : كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب (١) فالنجاة والخلاص يعطيها الرب بحلول الضيقات اذ أن النجاة لا يقصد بها عدم حلول التجارب . انظر ماذا يقول القديس بولس : فى كل شىء متضايقين (٢) وكأنه يعبر عن حياة المؤمن فى هذا العالم اذ لا يمكن ان يمر عليه وقت دون أن تكون ضيقة الا أننا من ناحية اخرى ، عندما نئن ونتضايق فاننا بمعونة الله لا نحزن . وكلمة الضيق فى التعبير العبرى تشير الى الموقف الحرج الذى يتحدى ارادة الانسان ، كما ان كلمة الحزن تتضمن وصف حالة الانسان الارادية عندما يهزم أو يستسلم أمام عنف التجربة . ولهذا فقد كان تعبير معلمنا بولس يتسم بالدقة وهو يقول : فى كل شىء متضايقين لكن غير محزونين . ويعبر المزمور عن نفس الفكرة بقوله : فى الشدة فرجت عنى (٣) وفى هذه الكلمات يعبر عن فضل معونة كلمة الله وحضوره مشجعا ايانا ومنقذا انا ، لأن أذهاننا — مستأسرة لفكر المسيح . تسر وتتجلد فى وقت التجربة . هذه الخبرة الروحية يشير اليها بقوله « فرجت عنى » .

---

(١) مز ٣٣ : ٢٠ . (٢) ٢ كو ٤ : ٨ . (٣) مز ٤ : ٢ .

ويمكنا أيضا أن نستخلص نفس هذا المعنى عندما نقول أن انسانا ما قد نجا من الشرير . فاذا قلنا أن الله قد خلص أيوب الصديق ، فلسنا نقصد أن الشيطان لم يأخذ سلطانا أن يصب عليه كل أنواع التجارب والبلايا التى حلت به ، بل نقصد أن أيوب مهما حل به فانه لم يخطىء أمام الرب بل اظهر بره وأخجل الشيطان الذى أساء اليه أيضا ، لأن الشيطان هو الذى اشتكى على أيوب : هل مجانا يتقى أيوب الله ؟ أليس انك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية . باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض ، ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ماله فانه فى وجهك يجدف عليك (٤) . ومع أن أيوب احتمل الكثير من المصائب فانه لم يجدف على الرب فى وجهه كما ظن العدو المقاوم ، بل نراه — وهو بين يدى المجرب — يبارك الرب دوما ، بل ويوبخ زوجته عندما أرادت أن تفرض عليه الاستسلام بقولها : بارك الرب ومت . فاذا به يجيبها موبخا : تتكلمين كاحدى الجاهلات . أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل (٥) . وللمرة الثانية يتكلم الشيطان حتى يساعد على تصعيد التجربة فيقول : جلد بجلد وكل ما للانسان يعطيه لأجل نفسه . ولكن ابسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فانه فى وجهك يجدف عليك (٦) واندحر الشيطان مهزوما أمام بطل الفضيلة والبر ، وانكشف الكذاب ، لأن أيوب ، على الرغم من حدة التجارب القاسية التى احتملها ، ظل صامدا لا يخطىء بشفتيه قدام الرب (٧) . ولما كان أيوب قد احتمل هاتين التجربتين بنجاح ، وخرج منهما مكللا بالظفر والانتصار لم تعد هناك حاجة الى مواجهة المزيد من التجارب . ولكن ظلت فى الحفظ تلك التجارب الثلاث ، التى كان على الرب مخلصنا أن يجتازها فى مواجهة ابليس — كما روتها لنا الأناجيل الثلاث — وقد تغلب مخلصنا — من حيث ناسوته الكل — على العدو الشرير فى هذه التجارب الثلاث (٨) .

وبعد أن فحصنا كلمات هذه الصلاة بعناية وتأملنا مدلولاتها ، يمكنا أن نصليها بفهم عميق ونطلب من القدير الا ندخل فى التجربة ، وأن ينجينا من الشرير وحيث أننا قد سمعنا له ، نصبح جديرين بأن يسمع لنا ويستجيب . ولهذا نطلب الا نموت ونحن فى التجربة ، والا نحترق بالسهام النارية (٩) عندما يرمينا بها الشرير . فكل الذين حميت قلوبهم كالتنور قد احترقوا (١٠) — كما قال لنا أحد الانبياء الاثنى عشر — ولكن الذين يقدمون الشكر والتسبيح

---

(٤) أى ١ : ٩ — ١١ .
(٥) أى ٢ : ٩ وما بعدها .
(٦) أى ٢ : ٤ وما بعدها .
(٧) أى ٢ : ١٠ .
(٨) مت ٤ : ١ — ١١ ومر ١ : ١٢ وما بعدها ولو ٤ : ١ — ١٣ .
(٩) ٢ كو ٦ : ٩ وأف ٦ : ١٦ .
(١٠) هو ٧ : ٦ .

لدرع الايمـــان .. الذى يطفىء كل الســـــهام النارية التى يرميهم بها الشرير (١١) ، فهؤلاء لا يمكن أن يصيبهم الحريق لأن فى داخلهم ينابيع ماء حى تفيض لحياة أبدية (١٢) ، تحد من سلطان نار العدو بل وتطفئها فى سهولة ويسر ، بذلك الفيض الغنى من الأفكار الرحبة الملهمة ، التى حفرها التأمل فى الحق ونقشها على روح الانسان الذى يثابر فى الجهاد حتى يكون روحيا .

---

(١١) أف ٦ : ١٦ .

(١٢) يو ٤ : ١٧ و٧ : ٣٨ .

الجزء الثالث

الصلاة من حيث الشكل والمضمون

الفصل الأول

طقس الصلاة

حتى نستوفى دراسة النواحى النظرية للصلاة ، يبدو لى أن من المناسب أن نعالج بايجاز بعض النقاط التى ترتبط بتقديم الصلاة ، مثل الحالة النفسية أثناء الصلاة ، والهيئة الجسدية التى يجب أن نلتزمها ، والمكان المناسب للصلاة ، والاتجاه الذى نتخذه طبقا للظروف التى نتعرض لها ، والأوقات الملائمة للصلاة وغير ذلك من الأمور .

والحالة النفسية تشير الى النفس ، كما ان الهيئة تشير الى موقف الجسد . وقد ذكرنا فيما سبق أن معلمنا بولس يشرح لنا ما نقصده بالحالة النفسية بقوله اننا يجب أن نصلى .. بلا غضب ولا جدال (١) ، وعن هيئة الجسد يقول أيضا انه حين نصلى يجب .. رافعين أيادى طاهرة . ويبدو لى أن هذه الفكرة مقتبسة من سفر المزامير من حيث نقرأ .. ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية (٢) وبالنسبة للمكان يقول الرسول أيضا : فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان (١) وعن الاتجاه يوصينا سليمان فى سفر الحكمة أن نسبق الشمس الى شكر الله ، وان نحضر أمامه عند شروق النور (٣) .

الحالة النفسية :

أعتقد أن الانسان الذى يتأهب للصلاة ، فيقف قليلا فى صمت ويعد نفسه وروحه للصلاة ، يستطيع أن يحصر انتباهه بذهن مجموع فى الجو اللائق طوال صلاته ، لأنه يجب فعلا أن يطرد من عقله جميع التجارب والمغريات وكل ما يساعد على تشتيت الذهن . ومن الحق عليه — على قدر طاقته — أن يتذكر عظمة الله وجلاله وهو يتأهب للاقتراب منه ، والا ينسى أنه مما لا يتفق مع التقوى أن يدنو من الله بروح الحماقة أو عدم المبالاة ، أو يمارس الصلاة باستخفاف واحتقار . يجب أن يخلى ذهنه من كل الخواطر والأفكار الخارجية وبعد ذلك يدخل الى أعتاب الصلاة .

---

(١) ١ تى ٢ : ٨ . (٢) مز ١٤٠ : ٢ . (٣) حك ١٦ : ٢٨ .

وعليه — كما ينبغى أن يقال — أن يرفع روحه قبل أن يرفع يديه ، وأن يرفع ذهنه وفكره الى الله قبل أن يرفع عينيه ، فقبل أن يقف للصلاة لا بد له أن يرفع روحه عن كل الأمور الأرضية ، ويتجه بها الى الله ضابط الكل . يجب أن يستبعد من ذاكرته كل تذكارات الاساءات والأخطاء التى ارتكبها الآخرون فى حقه (٤) تماما كما يتمنى هو أن يغفر له الله خطاياه الكثيرة واساءاته نحو اخوته أو غير ذلك مما يعرفه عن نفسه وعن تصرفاته التى جانبه فيها العقل الصحيح .

هيئة الصلاة :

ومع انه توجد أوضاع عديدة للجسم يمكن للمرء أن يتخذها اثناء الصلاة، الا أن الأيدى المرفوعة (٥) والعيون الخاشعة التى تتطلع فى رهبة الى السماء تفضل غيرها من الأوضاع . فالوضع الذى يتخذه الجسد يعبر ويكشف عن الخصائص اللائقة بالروح اثناء الصلاة . هذا هو الوضع المعتاد كما ينبغى أن يكون . ولكن هناك ظروفا استثنائية قد تضطرنا الى الصلاة — وبلياقة أيضا — ونحن جالسون كأن يعانى الشخص مثلا من ألم شديد فى قدمه . بل وقد يضطر الانسان الى الصلاة وهو نائم اذا كان مصابا بالحمى مثلا أو ما شابه ذلك من الأمراض التى لا تتيح له القدرة على الوقوف او الجلوس . كما يمكن للانسان أن يتخذ أى وضع آخر قد تمليه عليه الظروف ، فاذا كان مثلا فى سفر أو يؤدى عمله مما لا يسمح له بالخلوة للصلاة كما ينبغى ، فلا بأس عليه من الصلاة دون الالتزام بذلك المظهر الذى ينم عن الصلاة .

اما فيما يختص بالركوع او السجود ، فهو انسب الأوضاع عندما يعترف الانسان بخطاياه أمام الله ، راجيا رحمته طالبا الشفاء بغفران خطاياه . ولا بد لنا أن نعلم أن هذا هو الوضع السليم الذى يليق بالابن الخاضع المتضع ان يتخذه أمام الآب . ولذلك يقول معلمنا بولس : بسبب هذا أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض (٦) وهذا ما يسمى بالسجود الروحى لأن كل الكائنات تخضع

---

(٤) مت ٦ : ١٤ وما بعدها ومر ١١ : ٢٥ .

(٥) كان هذا الوضع مألوفا فى الصلاة حتى فى العبادات القديمة ، وهناك فقرات تصف هذه الممارسات فى كتابات هوميروس الشاعر اليونانى وارسطو الفيلسوف . وهناك شواهد كثيرة من كتابات الآباء تدل على أن الوقوف كان هو السمة الظاهرة فى عبادة المسيحيين الأوائل .

(٦) أف ٣ : ١٤ وما بعدها . ويتحدث القديس ترتليانوس عن الركوع كذلك فى صلوات التوبة والندم والاستغفار مثل ايام الصوم ، كما ينصح

للاب باسم يسوع وتتضع أمامه كما يدلنا على ذلك قول الرسول : باسم يسوع يجب أن تجثوا كل ركبة مما فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض (٧) . وليس معنى هذا اننا نعتقد أن المخلوقات السمائية لها ركب جسدية ، بل قد أثبت لنا الدارسون المحققون انها تتميز بأجسام علوية . حتى اذا لم يقبل العقل مثل هذه الأمور ، فنحن نقبلها ونرى أن لا مناص من قبول هذا اذا أردنا ألا نمتهن المنطق والعقل، لأننا نعلم — بالمنطق والعقل — ان كل عضو من أعضاء الجسد يقوم بالوظيفة التى تخصه والتى تناسبه، ونؤمن أيضا أن الله لم يخلق شيئا دون سبب أو بلا حكمة خاصة وعلى هذا فمن الخطأ أن نظن ان الله أعطى هذه الكائنات السمائية أجسادا لا هدف لها ولا وظيفة تؤديها كما أن من الخطأ أن نظن أن الأجهزة الهضمية والقناة الهضمية تؤدى وظيفتها الجسدية المعتادة عند هذه الكائنات . ومن ناحية أخرى لو تصور الانسان أن الأجسام السماوية تشبه التماثيل لأنها تشابه الانسان فى مظهره الخارجى فقط بينما تختلف عنه فى داخلها ، فلا شك فى أن هذا التصور لا يمكن أن يقبله المنطق أو العقل . هذا هو تعليقى على موضوع السجود وعلى النص : باسم يسوع يجب أن تجثو كل ركبة مما فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض . وكذلك فى قول النبى : انه لى تجثو كل ركبة (٨) لأنها تحمل نفس المعنى السابق .

موضع الصلاة :

أما عن المكان فمن الملاحظ أن كل مكان مناسب للصلاة المقدسة : فى كل مكان يقدم بخور لى .. يقول السيد الرب ، فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان (٩) . واذا أراد الانسان أن يصلى فى سلام وبدون قلق ، فلا بد له أن يختار مكانا معينا فى منزله — اذا اتسع لذلك — ويجعله مقدسا أو قدسا وهناك يقدم عبادته وصلواته (١٠) وعند تحديد هذا المكان ، لا بد

بهذا الوضع كذلك فى صلوات التعبد مثل صلاة باكر كما يشير أوريجانوس أيضا الى هذا الوضع فى النصوص الكتابية التى يستشهد بها فى نهاية هذه الفترة ويقول ترتليانوس كذلك أن السجود : المطانيات لا تجوز فى أيام الأحاد وعيد الفصح والخماسين المقدسة . وقد أخذت الكنيسة القبطية بهذا التقليد القديم .

(٧) فى ٢ : ١٠ .

(٨) أش ٤٥ : ٢٤ .

(٩) مل ١ : ١١ واش ٢ : ٨ .

(١٠) مت ٦ : ٦ ومن هذه الفقرة استنتج Danilou أن المقادس كانت شائعة الاستعمال فى المنازل الخاصة فى أيام أوريجانوس . وهناك كتابات قديمة تصف أحد المسيحيين الأوائل يدعى هيباركوس بأنه كان يتلو صلواته سبع مرات فى اليوم أمام ايقونة للصليوت مرسومة على الجدار الشرقى لاحدى حجرات منزله .

للمؤمن أن يستوثق من ان شيئا يتعارض مع الشريعة والتعقل لم يحدث فيه من قبل على الاطلاق ، لانه ان لم يدقق فى هذا الأمر ، يجعل نفسه والمكان الذى اختاره محرومين من عناية الله .

وعندما أفكر بعمق فى موضوع المكان ، أجد نفسى مدفوعا الى دراسة أحد الاعتبارات الذى قد يبدو مستهجنا الى حد ما ، ولكن مع اعمال العقل نجد انه لا يمكن تجنبه أو التغاضى عنه. ويمكنى صياغة هذه المشكلة على هيئة تساؤل : هل يليق أن يقدم المرء صلاته فى نفس المكان الذى يتم فيه الفعل الزوجى ، وهل هذا المكان يتسم بالطهارة والقداسة ؟ والسؤال يجرنا الى الحديث عن العلاقة الزوجية — المشروعة طبعا التى لا تمنع بل سمح بها طبقا لقول الرسول على سبيل الاذن وليس على سبيل الأمر (١١) . فاذا كان الرجل لا يستطيع أن يتفرغ للصلاة كما ينبغى ، بل — بموافقة — يقدم صلاته الى حين فليس من الغريب ان يفكر هذا الانسان فى مدى لياقة هذا المكان لأداء الصلاة .

ولكن الذى لا شك فيه ان المكان الذى يجتمع فيه جماعة المؤمنين بصفة خاصة يساعد على ممارسة الصلاة ويجعلها أكثر حرارة وفاعلية . وهذا أمر طبيعى لأن قوات الملائكة تشترك مع جماعة المؤمنين هنا حيث تحل قوة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح نفسه ، وفى هذا الموضع تجتمع ايضا أرواح القديسين سواء منهم الذين سبقونا ورحلوا عن هذا العالم أو القديسين الذين ما زالوا فى أرض الأحياء ، ولو ان شرح هذا الموضوع ليس بالأمر اليسير .

ما قلناه عن الملائكة يمكنا أن نستخلصه من قول الكتاب : ملاك الرب حال حول خائفيه ويخلصهم (١٢) فاذا كان ملاك الله يحل حول خائفيه ويخلصهم ، واذا كان يعقوب فيما يقوله عن الملاك الذى يخلصه من كل الشرور (١٣) لا يصدق على حالته هو فقط بل يصدق هذا القول على كل المكرسين والمقدسين لله العارف كل الأشياء ، فمن المحتمل جدا أن المؤمنين حين يجتمعون ، بل ويجتمع الكثير منهم قانونيا لمجد المسيح ، فلا بد ان ملاك كل منهم يحل حول خائفى الرب ، ويقف الى جوار الانسان المنوط به حمايته وارشاده . وهكذا عندما يجتمع القديسون معا ، تلتئم الكنيسة بشقيها من البشر والملائكة .

---

(١١) ١ كو ٧ : ٦ و ٥ .
(١٢) مز ٣٣ : ٨ .
(١٣) تك ٤٨ : ١٦ .

ويقـــول روفائيل الملاك عن أحـــد الرجال وهو طوبيا أنه كان يقـــدم صلاته (١٤) تذكارا قدام الله . وقال مثل هذا عن سارة التى صارت كنته فيما بعد عندما تزوجت طوبيا الابن أو طوبيا الأصغر . فاذا كان هذا هو الحال فى صلاة رجل واحد فماذا يقال عندما يجتمع الكثيرون بالفكر الواحد والقياس الواحد ، ويصبح جميعهم معا جسدا واحدا فى المسيح ؟ يتكلم القديس بولس عن قوة الله التى تملأ الكنيسة وتحل فيها فيقول : اذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح (١٥) وعلى هذا القياس يمكنا أن نقول أن قوة الله لم تسكن فقط فى كنيسة أفسس بل كانت كذلك فى كورنثوس واجتمع معهم بالروح ، فلا بد لنا اذا من أن نثق يقينا أن القديسين الذين انتقلوا وفارقوا الجسد انما يحضرون معنا بالروح فى الكنائس ، ولعلهم يسبقون الجسديين الى الصلاة مبكرين .

لذلك ينبغى أن نجل ونكرم الصلوات التى ترفع فى الكنيسة لأنها تتميز بقيمة خاصة وفاعلية يختص بها الذين يساهمون فيها .

وكما تحل قوة المسيح وروح بولس وأرواح القديسين الآخرين على شاكلته وكما تحل الملائكة حول القديسين ليشتركوا وينضموا فى هـــذه الاجتماعات القانونية ، فلا غرو اذا كان العكس صحيحا ايضا . فاذا لم يكن المرء جديرا بملاك مقدس ، فمعنى هذا أنه يسلم نفسه الى ملاك من ملائكة الشيطان ، بسبب خطاياه التى ارتكبها أو بسبب عصيانه وتمرده مما يعد اهانة لله . ومثل هذا المسكين — وهم قلة فى الكنيسة — لن يحرم طويلا من رعاية الملائكة لأنهم فى طاعتهم لمشيئة الله سوف يلفتون نظر الكنيسة الى ضعفاته . أما اذا كثر عدد هؤلاء الناس ، واجتمعوا معا كما لقوم عادة تنحصر اهتماماتهم فى الأمور الزمنية والأرضية فلن يكون لمثل هؤلاء نصيب فى عناية الله . ويمكنا أن نتبين هذه الحقيقة من قول الرب على لسان اشعياء النبى .. حينما تأتون لتظهروا أمامى .. استر عينى عنكم وان كثرتم الصلاة لا أسمع (١٦) . وبدلا من أن تكون الكنيسة مزدوجة يجتمع فيها القديسون مع الملائكة الأبرار — كما سبق الكلام — فيكون هناك اجتماع على نقيض ذاك ، يضم من البشر غير الاتقياء الاضافة الى ملائكة الشر . وعن مثل هذا الاجتماع يقول الملائكة والاتقياء : لم اجلس فى مجمع العبث ، وفى طرق الشر لا أذهب . ابغضت جماعة الأثمة ، ومع الأشرار لا أجلس (١٧) .

لعل هذا هو السبب — فيما اعتقد — الذى جعل سكان أورشليم وكل

---

(١٤) طو ١٢ : ١٢ .
(١٥) ١ كو ١ : ١٠ و٥ : ٤ .
(١٦) أش ١ : ١٢ و١٥ .
(١٧) مز ٢٥ : ٤ .

اليهودية ممن انغمسوا فى الشرور والخطايا عبيدا لأعدائهم . فالشعوب التى تترك الناموس يتركها الله ، وملائكتهم الحراس والصديقون الأبرار الذين كان يمكن أن يسرعوا الى نجدتهم لا بد أن يتخلوا عنهم . ان ما كانوا يظنونه فى حيازتهم يؤخذ منهم (١٨) . وكما لعنت شجرة التين وضربت من جذورها لأنها لم تعط ثمرا للرب يسوع وهو جائع ، هكذا يذبل هؤلاء ايضا ويجفون ، ويؤخذ منهم القليل الذى قد يتبقى فيهم بالايمان من روح الحياة .

لقد بدا لى أن هناك ضرورة أن أسوق هذه الملاحظات عن مكان الصلاة، والبركات العجيبة — فيما يختص بالمكان — التى تتحقق من اتحاد المؤمنين خاصة عندما يجتمعون معا للغرض الواحد .

والى الشرق انظروا :

ويمكننا الآن أن نضيف ملاحظة يسيرة تختص بالاتجاه الذى يجب أن نولى شطره وجوهنا عند الصلاة (١٩) . هناك أربع جهات أصلية : الشمال والجنوب والشرق والغرب . ونحن ندرك بوضوح أن الاتجاه نحو الشمس المشرقة انما يشير الى ما ينبغى أن نمارسه فى الصلاة من حيث الاتجاه نحوها ، لأنه عمل رمزى يشير الى تطلع الروح وترقب الرجاء الى حيث يشرق النور الحقيقى (٢٠) . ولكن البعض قد يروق لهم أن يولوا وجوههم شطر الجهة التى يتجه نحوها منزله وتنفتح نحوها أبوابه ونوافذه. ويبرر هؤلاء مسلكهم بأنه لما كانت منازلهم ليست لها فتحات (نوافذ — أبواب) نحو الشرق ، وان التطلع الى السماء يلذ ويحلو للمصلى أكثر من النظر الى الجدران ، رأى هؤلاء أن يتجهوا حيث توجد هذه المنافذ التى تسمح لهم برفع عيونهم الى السماء . ومع هذا أقول أن اتجاه البيوت ومنافذها

---

(١٨) لو ٨ : ١٨ .

(١٩) الاتجاه نحو الشرق فى العبادة والصلاة كان من الطقوس الشائعة عند قدماء المصريين والفرس وغيرهما . وهناك فى الكثير من مؤلفات الآباء ما يدل على أن المسيحيين فى العصور الأولى قد مارسوا هذا الطقس ، كما يتضح ذلك فى أقوال ترتليانوس واكليمنضس الاسكندرى وأوريجانوس وأوغسطينوس . فالمسيحيون الأوائل احتفظوا بعادة الاتجاه نحو الشرق أثناء الصلاة ولكنهم اسبغوا عليها معانى مسيحية وقيما روحية جديدة . فالفردوس الأرضى كان نحو الشرق تك ٢ : ٨ والفردوس السمائى الذى يحيا فيه الابرار يعتقد أنه فى الشرق لأن صعود المسيح نفسه حدث نحو الشرق مز ٦٧ : ٣٤ كما أن مجىء المسيح الثانى سيكون أيضا من الشرق مت ٢٤ : ٢٧ .

(٢٠) يو ١ : ٩ .

من الأمور التى ترتبط بالعادات والتقاليد . وقد جرت العادة فعلا — حتى فى المبانى — أن نعطى الشرق أولوية على غيره من الجهات . ولما كان هذا الاتجاه يتفق مع الطبيعة فالأجدر بنا أن نتبع الطبيعة بدلا من اتباع العادات لمجرد أنها كذلك .

واستطرادا للمناقشة نقول : واذا أراد الانسان أن يصلى فى الخلاء ، أما يفضل الاتجاه نحو الشرق على الغرب ؟ فاذا كان تفضيل الشرق يتفق مع منطق الطبيعة والعقل ، فالأفضل اذا أن نعمم القاعدة فى كل مكان . واعتقد أن فى هذا الكفاية بالنسبة لهذه النقطة (٢١) .

---

(٢١) وعد أوريجاتوس بأن يعالج هنا أيضا موضوع الوقت الملائم للصلاة ولكنه لا يفعل ولعل السبب فى ذلك أنه اكتفى بما أورده فى هذا الشأن .

الفصل الثانى

عناصر الصلاة الأربع

أرى أن اختم رسالتى عن هذا الموضوع بكلمة موجزة عن عناصر الصلاة الرئيسية . وقد فتشت فى الكتاب المقدس فوجدت أن هناك أربعة أجزاء لا بد لنا من تعريفها حتى يدرك كل واحد منا كيف يصوغ صلاته طبقا لها(١) .

ففى بدء الصلاة ، على المصلى أن يمجد الله بكل قوته ، بالمسيح الممجد معه وفى الروح القدس المساوى له فى المجد . ثم عليه بعد ذلك أن يشكر الله من أجل كل عطاياه واحساناته ، فيذكر الخيرات التى أفاضها على البشر بصفة عامة ، والتى وهبت له بصفة خاصة . وهذا الشكر — فيما أعتقد — ينبغى أن يتبعه اعتراف خاشع بالخطايا مع التضرع الى الله حتى يبرئنا منها ، وهكذا نطلب ضمنا أن يخلصنا من العادات التى تؤدى بنا الى الخطية ، ثم نطلب اليه أن يرحمنا ويغفر لنا ما ارتكبناه من هذه الخطايا .

وبعد الاعتراف يأتى العنصر الرابع الذى فيه نتضرع الى الله من أجل العطايا العظمى السمائية من أجل المصلى نفسه ومن أجل الجميع سواء كانوا أقرباء أو أصدقاء ثم نختم صلاتنا كما بدأناها بتسبيح الله بالمسيح فى الروح القدس .

هذه العناصر — كما قلت — وجدتها متناثرة فى الكتاب المقدس . فتمجيد الله نجده فى المزمور ١٠٣ : يارب الهى قد عظمت جدا . مجدا وجلالا لبست .. اللابس النور كثوب . الباسط السموات كشقة . المسقف علاليه بالمياه . الجاعل السحاب مركبته . الماشى على أجنحة الريح .

---

(١) عناصر الصلاة الرئيسية أربعة هى : (أ) تسبيح الله وتمجيده Dexology وهى تقابل صلاة التسبحة فى طقس الكنيسة .

(ب) الشكر Eucharist التى تشتق منها كلمة أفخارستيا أى ذبيحة السلامة والشكر . وصلاة الشكر تقدمها الكنيسة فى كل المناسبات .

(جـ) الاعتراف بالخطايا — التوبة . (د) الطلبات أو الأواشى .

الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة . المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع الى الدهر والأبد . كسوتها الغمر كثوب . فوق الجبال تقف المياه . من انتهارك تهرب . من صوت رعدك ترتعب (٢) . معظم المزمور ينتظمه هذا النهج فى تسبيح الآب . وكل منا يستطيع أن يجد وأن يجمع لنفسه نماذج عديدة من مواضع مختلفة يتعلم منها كيف يصاغ التسبيح والتمجيد .

أما فيما يختص بالشكر فيمكن أن أعرض عليك مثالا من سفر الملوك الثانى . يوناثان قطع مع داود عددا من العهود والمواثيق ، وداود — الذى يتكلم فى هذه الصلاة — يغمره شعور بالدهشة من عطايا الله ، فيقدم الشكر من أجلها فيقول : من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى أظهرت حبك الى هذا الحد ؟ وكنت صغيرا جدا فى عينيك ياسيدى الرب ، فتكلمت أيضا من جهة بيت عبدك الى زمان طويل . ولكن هذه هى عادة الانسان يا سيدى الرب . وماذا يستطيع داود أن يقول لك أكثر من هذا لأنك قد عرفت عبدك يا سيدى الرب . فمن أجل عبدك وحسب قلبك فعلت هذه العظائم كلها لتعرف عبدك أنك تتعظم أيها الرب الاله (٣) .

ومن أمثلة الندم والاعتراف بالخطايا هذه الأقوال :

+ من كل معاصى نجنى (٤) .

+ قد انتنت ، قاحت حبر ضربى بسبب حماقتى . صرت يائسا . انحنيت الى الغاية . اليوم كله ذهبت حزينا (٥) .

ومن نماذج الطلبات ما جاء فى المزمور ٢٧ : لا تجذبنى مع الأشرار ومع فعلة الاثم لا تهلكنى (٦) وغير ذلك من النصوص المتواترة فى الكتاب المقدس .

وأخيرا ، جيد أن تنتهى الصلاة كما بدأت — بالتسبيح والترتيل وتمجيد الآب ، أبى الكل ، بالمسيح يسوع وفى الروح القدس ، الذى له المجد الى الأبد والى الدهر (٧) .

---

(٢) مز ١٠٣ (١٠٤) .
(٣) ٢ مل ٧ : ١٨ — ٢٢ .
(٤) مز ٣٨ : ٩ .
(٥) مز ٣٧ : ٦ (مز ٣٨ : ٥) .
(٦) مز ٢٣ : ٣ .
(٧) رو ١٦ : ٢٧ وعب ١٣ : ٢١ وغل ١ : ٥ و٢ تى ٤ : ١٨ .

ختام الرسالة

أخى امبروسيوس وأختى تاتيانا الأحباء ، اخوتى فى خدمة الله الأمينة بكل اجتهاد .

هذه هى خلاصة دراستى فى موضوع الصلاة بصفة عامة ، والصلاة الواردة فى الانجيل المقدس بصفة خاصة ، مع الظروف التى سبقتها فى انجيل معلمنا متى .

ولا يخامرنى شك انكما اذا طرحتما ما هو وراء ، وامتددتما الى ما هو قدام (٨) ، وفى نفس الوقت رغعتما صلواتكما من أجلى ، فسوف يلهمنى الله — واهب العطايا — أفكارا أكثر من هذه التى عرضتها ، حتى أتناول هذا الموضوع مرة أخرى وأوفيه حقه بالأكثر ، بما يتناسب مع سموه وعظمته فيزداد وضوحا وجلاء .

أما فى الوقت الحالى ، فبمكنكما الاطلاع عليه بما جبلتم عليه من غيرة ومن عطف وتسامح .

أوريجانوس

---

(٨) فى ٣ : ١٣ .

فى هذا الكتاب

صفحة

لجنة النشر ٥
المؤلف ٧

الجزء الأول
الصلاة فى مفهومها العام

ل الأول : حول كلمة الصلاة ١٤
ل الثانى : الصلاة بين الرفض والممارسة ١٧
ل الثالث : امتيازات الصلاة ٢٥
ل الرابع : صلوات مقبولة ٣٣
ل الخامس : موضوع الصلاة ٣٩
ل السادس : بركات الصلاة ٤٣

الجزء الثانى
الصلاة الربية

ل الأول : مقدمة ٥١
ل الثانى : أبانا الذى فى السموات ٥٧
ن الثالث : ليتقدس اسمك ٦٥
ل الرابع : ليأت ملكوتك ٦٩
ل الخامس : لتكن مشيئتك ٧٣
ل السادس : خبزنا الجوهرى جدا ٧٩
ل السابع : واغفر لنا .. كما نغفر ٩١
ل الثامن : ولا تدخلنا فى تجربة ٩٧
ل التاسع : لكن نجنا من الشرير ١٠٩

الجزء الثالث
الصلاة من حيث الشكل والمضمون

ل الأول : طقس الصلاة ١١٥
ل الثانى : عناصر الصلاة الأربع ١٢٣

مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر
بكاتيسة مار مرقس القبطية الأرثوذكسية
وجمعية أصدقاء الكتاب المقدس القبطية الأرثوذكسية

— حياة الأنبا انطونيوس — للقديس اثناسيوس — تعريب القس مرقس داود (نفذ)

— تأملات هادئة فى سفر التكوين — للقس مرقس داود (الجزء الأول) (نفد)

— تأملات هادئة فى سفر التكوين — للقس مرقس داود (الجزء الثانى) (نفد)

— تأملات هادئة فى سفر التكوين — للقس مرقس داود (الجزء الثالث) ١٥ قرشا

— تأملات هادئة فى سفر التكوين — للقس مرقس داود (الجزء الرابع) ١٥ قرشا

— مجلد تأملات هادئة فى سفر التكوين (الأربعة أجزاء) — جارى تجليده

— رسائل أثناسيوس الرسولى — تعريب القس مرقس داود (نفد)

— الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة — للقس مرقس داود (نفد)

— أسرتنا فى ظلال المسيحية — للاستاذ سلمان نسيم (نفد)

— مدرسة الصلاة — للارشيدياكون عياد عياد (نفد)

— فى ذكرى شهداء المسيحية — لنيافة الأنبا يؤانس (نفد)

— أضواء من عالم المجد .

— المسيحية والمجتمع — للدكتور موريس تاوضروس (نفد)

— طقس الصوم الكبير وأسبوع الآلام (نفد)

— الروح القدس للقديس أمبروسيوس — تعريب القس موسى وهبه (نفد)

— الخادم الأمين (نفد)

— رحلة الى قلوبهم — للاستاذ سليمان نسيم (نفد)

— حديقة الحقيقة — لنيافة الأنبا تيموثاوس ٢٥ قرشا

— الصلاة — لأوريجانوس — تعريب القس موسى وهبه ٣٠ قرشا

رقم الايداع بدار الكتب ٧٥/٣٧٢١

مطبعة دار العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر ـ ت ٩٠٦٧٠٦ بالقاهرة

كتبه الاستعارية
عام : _____
خاص : _____

الثمن ٣٠ قرشاً